

أربح البضاعة

في معتقد أهل السنة والجماعة

جمعها

علي بن سليمان آل يوسف

طبعت على نفقة

صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني - حاكم قطر المعظم -

بمسودة

الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع

أربح البضاعة

في معتقد أهل السنة والجماعة

جمعها

علي بن سليمان آل يوسف

أمر بطبعها على نفقته

الشيخ علي بن الشيخ عبد الله

ابن قاسم الثاني حاكم قطر حفظه الله

بمسودة

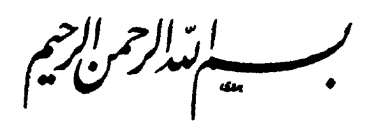
الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع

الطبعة الثانية

١٣٧٩

ملاحظة هامة :

ظفرنا بعد طبع هذه الرسالة بنسخة ثانية من الطبعة الاولى عليها تعليقات مفيدة للاستاذ العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع. فألحقناها ـ اتماما للفائدة ـ بآخر الرسالة ، الصفحة ١٠٥ .



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أما بعد ، فهذا مجموع في العقيدة والاخلاق جمعه العلامة الفاضل الشيخ علي بن سليمان آل يوسف القصيمي الحنبلي ليكون ـ كما قال ـ الى السعادة سبيلا وعلى الهدي النبوي دليلا ، وطبعه سنة ١٣١٦ .

وقد أمر بتجديد طبعه ـ بعد أن أصبح اليوم مفقوداً أو في حكم المفقود ـ عالم الأمراء وأمير العلماء المحسن الشهير

صاحب السمو الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني

وكان ذلك بناء على اقتراح صاحب السماحة العلامة الجليل الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع الذي له القدح المعلى في نشر الثقافة والتعليم في الحجاز ونجد وقطر .

ويتألف هذا المجموع من قصيدة الامام أبي محمد عبد الله بن محمد الاندلسي القحطاني مضموما اليها سبع رسائل أخرى هي :

١ ـ عقيدة الامام أحمد الواسطي .

٢ ـ القصيدة الميمية للامام ابن القيم .

٣ ـ الشهب المرميه على المطله والجهمية للشيخ ابن مشرف •
٤ ـ قصيدة في رثاء العلم لابن مشرف •
٥ ـ قصيدة في الحث على مكارم الأخلاق للامام الصنعاني •
٦ ـ قصيدة للشيخ ابراهيم الأندلسي يحث بها ولده على طلب العلم•
٧ ـ قصيدة العلامة الموصلي بمدح الامام أحمد بن حنبل •

وأما ما ذكره جامع الرسائل رحمه الله في المقدمة التي كتبها من أن عدد الرسائل التي نظمها مع القصيدة سنه فمرده ـ فيما نحسب ـ الى أنه كتب المقدمة قبل اضافة الرسالة الأخيرة •

وقد اعتمدنا في الطبع على النسخة المطبوعة بتصحيح جامع الرسائل سنة ١٣١٦ مع مقابلة الرسائل التي وجدناها أيضاً في كتب أخرى •

وفي النسخة أخطاء مطبعية ولغوية ونحوية • وقد أصلحنا ما وجدنا صوابه في غير هذه النسخة من الكتب وما ليس له في العربية وجه ، الا ما كان اصلاحه مفسدا للنظم فقد تركناه على حاله مع الاشارة ـ أحيانا ـ اليه

وترجمنا لبعض الأعلام بتراجم مختصرة ، وفسرنا بعض الكلمات التي وجدنا لتفسيرها حاجة •

ولم نعلق على الكتاب في الأماكن التي تحتاج الى تعليق ليخرج الكتاب الى الناس بسرعة حسب رغبة سمو الأمير الجليل حفظه الله • وليبقى الكتاب كما هو في الأصل دونما اضافة •

والله نسأل أن برد المسلمين الى كتابه وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين •

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله العلي الكبير ، العليم اللطيف الخبير ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، لا تدركه الأبصار والمدارك ، وكيفما تصورته الأفكار فالله بخلاف ذلك ، استوى على العرش ولا يقال : كيف استوى؟ ، وأحاط علماً بالكون وما حوى .

أحمده حمداً لا يعد ولا يحصى ،وأشكره على نعمه التي لا تستقصى .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اله تقدس عن الوالد والولد ، وجل عن أن يكون له كفواً أحد .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين انساً وجناً الفائز من القرب من ربه بالمقام الأسنى ، المخصوص برتبة « فكان قاب قوسين أو أدنى » (١) ، وعلى آله نجوم الهدى وأصحابه الأبرار السعدا .

أما بعد ، فيقول العبد الفقير الى رحمة اللطيف الخبير علي بن سليمان (٢) ، آمنه الله من موجبات التلهف والتأسف : لما رأيت تشعب الآراء والأهواء ، وركوب أهل هذا الزمان متن عمياء ، وخبطهم خبط عشواء ، والأغلب قد أرخى عنان الطاعة لهواه ، الا الملازمين لهدي المصطفى وأصحابه ـ والمنة على من هداه الله ـ تبعت آثار السلف الأخيار، والخلف الأبرار ، لأظفر بكتاب يكون الى السعادة سبيلا ، وعلى الهدي

(١) سورة النجم الآية ١٠

(٢) آل يوسف النجدي القصيمي ثم البغدادي أحد تلامذة العلامة السيد محمود شكري الآلوسي الشهير المتوفى سنة ١٣٤٢ . وكان زميلا لنا في الدراسة على هذا الامام .

محمد بن مانع

البوى دليلا ، فيسر الله ذلك المرام ، في قصيدة الحبر الامام ، العالم الرباني أبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني ، السلفي المشرب ، والمالكي المذهب ، الصغيرة الحجم ، الغزيرة العلم ، المحتوية على الأصول الدينية ، والفروع الفقهية ، والنصائح النبوية ، التي يجب على كل موحد الاتسام بهديها ، وأن يعد من بني ودها .

فأحببت أن أنظم في سلك عقيانها ، وعقد جمانها ، ثماني رسائل (١)، هي للوصول الى معتقد أهل الحق وتهذيب الخلق والخلق من أعظم الوسائل ، فجاءت بحمد الله لعقد الدين درة ، ولعيون المتقين قرة ، راجياً أن تكون حجاباً من النار ، وذخراً ليوم العرض على الجبار .

ولما ، أن تم الغرض المطلوب ، بمعونة علام الغيوب سميت هذا المجموع:

« اربع البضاعة في معتقد اهل السنة والجماعة »

والله أسأل ، وباسمه العظيم أتوسل ، أن ينفع به اخواننا المؤمنين ، ويهدي بمصباح زجاجة مشكاة هداه جميع المسلمين ، انه الموفق والمعين ، لا رب غيره ولا يرجى الا خيره .

---

(١) في الأصل ست

قصيدة

الإمام عبد الله بن محمد الأندلسي المالكي

وهذا الامام قد بحثنا عن ترجمته فلم نجدها
فيما لدينا من الكتب ، ولكنه متقدم
زمانه على زمن شمس الدين ابن
القيم رحمهما الله تعالى

قال عليه الرحمة والرضوان ، وأسكنه الله بحبوحة الجنان(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

يـامنزل الآيـات والفرقـان   بيني وبينك حرمـة القـرآن

اشرح به صدري لمعرفة الهدى   واعصـم بـه قلبي مـن الشيطان

يسر به أمري ، واقض مآربي   وأجر به جسدي من النيران

واحطط به وزري ، وأخلص نيتي   واشدد به أزري ، وأصلح شاني

واكشف به ضري ، وحقق توبتي   واربح به بيعي بـلا خسران

طهر به قلبي ، وصف سـريرتي   أجمل به ذكري ، وأعل مـكاني

واقطع به طمعي ، وشرف همتي   كثر به ورعي ، وأحي جناني

أسهر به ليلي ، وأضم جوارحي ،   أسـبل بفيض دموعها أجفاني

امزجـه يـارب بلحمي مـع دمي   واغسل به قلبي من الأضغان

أنت الـــذي صورتني ، وخلقتني   وهـديتني لشـرائع الايمان

أنت الـــذي علمتني ، ورحمتني   وجعلت صدري واعي القرآن

أنت الـــذي أطعمتني ، وسقيتني   من غير كسب يد ولا دكان

وجبرتني ، وسترتني ، ونصـرتني   وغمرتني بالفضل والاحسان

أنت الـــذي آويتني ، وحبـوتني   وهديتني مـن حيرة الخذلان

---

(١) وهذه القصيدة أثنى الامام ابن القيم على ناظمها ونقـل منها في قصيدته النونيه في موضعين . كتبه محمد بن مانع .

وزرعت لي بين القلوب مودة ، وعطفت منك برحمة وحنان
ونشرت لي في العالمين محاسنا ، وسترت عن أبصارهم عصياني
وجعلت ذكري في البريـة شائعا ، حتى جعلت جميعهم اخواني
والله لـو علموا قبيح سريرتي لأبى السلام علي من يلقاني
ولأعرضوا عني ، وملوا صحبتي ، ولبؤت بعـد كرامة بهوان
لـكن سترت معائبي ومثالبي وحلمت عـن سقطي وعن طغياني
فلك المحامد والمـدائح كلهـا بخواطري وجوارحي ولساني
ولقـد مننت علي ، رب ، بـأنعم مالي بشـكر أقلهن يدان
فـوحق حكمتك التي آتيتني حتى شـددت بنورها برهاني
لئن اجتبتني من رضاك معونة حتى تقوي أيدها ايماني
لاسـبحنك بـكرة وعشية ، ولتخدمنك في الدجى أركاني
ولأذكرنك قائما أو قاعدا ، ولأشـكرنك سـائر الأحيان
ولأكتمن عـن البرية خلتي(١) ، ولأشـكون اليك جهد زماني
ولأقصدنك في جميع حوائجي مـن دون قصد فلانة وفلان
ولأحسمن عن الأنام مطامعي بحسام يأس لـم تشبه بناني
ولأجعلن رضاك أكبر همتي ، ولأضربن من الهوى شيطاني
ولأكسون عيوب نفسـي بالتقى ، ولأقبضن عـن الفجور عناني
ولأمنعن النفس عن شهواتها ، ولأجعلن الزهد من أعواني
ولأتلون حروف وحيك في الدجى ، ولأحرقن بنـوره شـيطاني
أنت الذي ، يارب ، قلت حروفه ، ووصفتـه بالوعـظ والتبيان
ونظمتـه ببلاغـة أزليـة ، تكييفها يخفى على الاذهان
وكتبت في اللوح الحفيظ حروفـه مـن قبل خلق الخلق في أزمـان
فالله ربي ، لم يزل متكلما حقاً اذا ما شاء ذو احسان
نادى بصوت حين كلم عبده موسى ، فأسمعه بـلا كتمان

(١) الخلة ـ بالفتح ـ الحاجة والفقر .

وكـذا ينادي في القيامة ربنا ... جهرا ، فيسمع صوتـه الثقلان(١)
أن ياعبادي ، أنصتوالي ، واسمعوا ... قـول الاله المالك الديان
هذا حديث نبينا عن ربه ... صدقا بـلا كذب ولا بهتان
لسنا نشبه صوته بـكلامنا ، ... اذ ليس يـدرك وصفه بعيان
لا تحصر الأوهام مبلغ ذاته ... أبـدا ، ولا يحويه قطـر مـكان
وهو المحيط بكل شيء علمه ... من غـير اغفـال ولا نسيان
من ذا يـكيف ذاتـه وصفاته ؟ ! ... وهو القديم مـكون الأكـوان
سبحانه ملكاً على العرش استوى ، ... وحوى جميع الملك والسلطان
وكلامه القرآن أنزل آيه ... وحياً على المبعوث من عدنان
صلى عليه الله خير صلاته ، ... ما لاح في فـلـكيهما القمران (٢)
هو جـاء بالقرآن مـن عند الـذي ... لا تعتريه نوائب الحـدثان
تنزيـل رب العالمين ووحيـه ... بشـهادة الأحبار والـرهبان
وكـلام ربي لا يجيء بمثله ... أحد ، ولو جمعت له الثقـلان
وهو المصون من الاباطـل كلها ، ... ومـن الزيادة فيـه والنقصان
من كـان يزعم أن يباري نظمه ، ... ويراه مثل الشعر والهذيـان
فليأت منه بسورة أو آية ، ... فـاذا رأى النظمين يشتبهـان
فلينفرد باسم الألوهـه ، وليـكن ... رب البرية ، وليقل سبحاني
فـاذا تناقض نظمـه فليلبسن ... ثوب القيصة صاغرا بهـوان
أو فليقر بأنـه تنزيل مـن ... سماه في نص الكتاب مثاني (٣)
لا ريب فيـه بأنه تنزيله ، ... وبداية التنزيل في رمضـان

(١) الثقلان الإنس والجن .

(٢) هما الشمس والقمر . وغلب القمر على الشمس

(٣) اختلفت الآراء في تفسير المثاني فوردت بمعنى فاتحة الكتاب ، وبمعنى ست وعشرين سورة وبمعنى ما دون المئين من السور والمقصود بالمثاني هنا القرآن الكريم كله ويشهد له قول حسان بن ثابت

من للقوافي بعد حسان وابنه ... ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

لله فصله ، وأحكم آيه ، وتلاه تنزيلا بلا ألحان

و قوله ، وكلامه ، وخطابه بفصاحة وبلاغة وبيان

و حكمه ، هو علمه ، هو نوره وصراطة الهادي الى الرضوان

جمع العلوم دقيقها وجليلها ، فبه يصول العالم الرباني

صص على خير البرية قصه ربي فأحسن أيما احسان

كلماته منظومة وحروفه بتمام ألفاظ وحسن معان

أبان فيه حلاله وحرامه ، ونهى عن الآثام والعصيان

ن قال : ان الله خالق قوله فقد استحل عبادة الأوثان

ن قال : فيه عبارة وحكاية فغدا يجرع من حميم آن

ن قال : ان حروفه مخلوقة فالعنه ثم اهجره كل أوان

لا تلق مبتدعا ولا متزندقا الا بعبسة مالك الغضبان

الوقف في القرآن خبث باطل وخداع كل مذبذب حيران

ل : غير مخلوق كلام الهنا واعجل ، ولا تك في الاجابة واني

هل الشريعة أيقنوا بنزوله ، والقائلون بخلقه شكلان

تجنب اللفظين ، ان كليهما ومقال جهنم عندنا سيان (1)

أيها السني ؟ خذ بوصيتي ، واخصص بذلك جملة الاخوان

اقبل وصية مشفق متودد ، واسمع بفهم حاضر يقظان

كن في أمورك كلها متوسطاً عدلا بلا نقص ولا رجحان

اعلم بأن الله رب واحد متنزه عن ثالث أو ثان

لأول المبدي بغير بداية ، والآخر المفني وليس بفان

كلامه صفة له وجلالة منه بلا أمد ولا حدثان

كن الديانة أن تصدق بالقضا ، لا خير في بيت بلا أركان

لله قد علم السعادة والشقا ، وهما ومنزلتاهما ضدان

---

(1) هو جهم بن صفوان الضال المبتدع هلك في زمن صغار التابعين سنة ١٢٨ . وقد زرع شرا كثيرا في الناس .

لا يملك العبد الضعيف لنفسه رشداً ، ولا يقدر على خذلان

سبحان من يجري الأمور بحكمة في الخلق بالأرزاق والحرمان

نفذت مشيئته بسابق علمه في خلقه عدلا بلا عدوان

والكل في أم الكتاب مسطر من غير اغفال ولا نقصان

فاقصد هديت ، ولا تكن متغاليا ، ان القدور تفور بالغليان

دن بالشريعة والكتاب كليهما ، فكلاهما للدين واسطتان

والخير والشر الذين كليهما بجميع ما تأتيه محتفظان

ولكل عبد حافظان لكل ما يقع الجزاء عليه مخلوقان

أمرا بكتب كلامه وفعاله ، وهما لأمر الله مؤتمران

والله أصدق وعده ووعيده مما يعاين شخصه العينان

والله أكبر أن تحد صفاته ، أو أن يقاس بجملة الأعيان

* * *

وحياتنا في القبر بعد مماتنا حقاً ويسألنا به الملكان

والقبر صح نعيمه وعذابه ، وكلاهما للناس مدخران

والبعث بعد الموت وعد صادق باعادة الأرواح في الأبدان

وصراطنا حق ، وحوض نبينا صدق ، له عدد النجوم أواني

يسقى بها السني أعذب شربه ، ويذاد كل مخالف فتان

وكذلك الأعمال يومئذ ترى موضوعة في كفة الميزان

والكتب يومئذ تطاير في الورى بشمائل الأيدي وبالأيمان

والله يومئذ يجيء لعرصة مع أنه في كل وقت دان

والأشعري يقول : يأتي أمره ، ويعيب وصف الله بالاتيان

والله في القرآن أخبر أنه يأتي بغير تنقل وتدان

وعليه عرض الخلق يوم معادهم للحكم كي يتناصف الخصمان

والله يومئذ نراه كما نرى قمراً بدا للست بعد ثمان(١)

---

(١) اي في الليلة الرابعة عشرة من الشهر ·

يوم القيامة لو علمت بهوله ... لفررت من أهل ومن أوطان
يوم تشققت السماء لهوله ، ... وتشيب فيه مفارق الولدان
يوم عبوس قمطرير شره ، ... في الخلق منتشر عظيم الشأن
والجنة العليا ونار جهنم ... داران للخصمين دائمتان
يوم يجيء المفون لربهم ... وفدا على نجب من العقيان
ويجيء فيه المجرمون الى لظى ، ... يتلمظون تلمظ العطشان
ودخول بعض المسلمين جهنما ... بكبائر الآثام والطغيان
والله يرحمهم بصحة عقدهم ، ... ويبدلوا من خوفهم بأمان
وشفيعهم عند الخروج محمد ، ... وطهورهم في شاطىء الحيوان
حتى اذا طهروا هنالك أدخلوا ... جنات عدن ، وهي خير جنان
فالله يجمعنا واياهم بها ... من غير تعذيب وغير هوان

* * *

واذا دعيت الى أداء فريضة ... فانشط ، ولاتك في الاجابة واني
قم بالصلاة الخمس ، واعرف قدرها ، ... فلهن عند الله أعظم شأن
لا تمنعن زكاة مالك ظالما ، ... فصلاتنا وزكاتنا أختان
والوتر بعد الفرض آكد سنة ، ... والجمعة الزهرآء والعيدان
مع كل بر صلهما(١) أو فاجر ... ما لم يكن في دينه بمشان
وصيامنا رمضان فرض واجب ، ... وقيامنا المسنون في رمضان
صلى النبي به ثلاثاً رغبة ، ... وروى الجماعة أنها ثنتان
ان التراوح راحة في ليله ... ونشاط كل عويجز كسلان
والله ما جعل التراوح منكرا ... الا المجوس وشيعة الصلبان
والحج مفترض عليك ، وشرطه ... أمن الطريق وصحة الأبدان
كبر هديت على الجنائز أربعا ، ... واسأل لها بالعفو والغفران
ان الصلاة على الجنائز عندنا ... فرض الكفاية لاعلى الأعيان

---

(١) كذا في الأصل والأصح : صلها .

أن الأهلة للأنام مواقت ، وبها يقوم حساب كل زمان(١)
لا تفطرن ، ولا تصم ، حتى يرى شخص الهلال من الورى اثنان
متثبتان على الذي يريانه ، حران ، في نقليهما ثقتان
لا تقصدن ليوم شك عامدا فتصومه وتقول : من رمضان
لا تعتقد دين الروافض ، انهم أهل المحال وشيعة الشيطان
جعلوا الشهور على قياس حسابهم، ولربما كملا لنا شهران
ولربما نقص الذي هو عندهم واف ، وأوفى صاحب النقصان
ان الروافض شر من وطىء الحصا من كل انس ناطق أو جان
مدحوا النبي ، وخونوا أصحابه ، ورموهم بالظلم والعدوان
حبوا قرابته ، وسبوا صحبه ، جدلان عند الله منتقضان
فكأنما آل النبي وصحبه روح يضم جميعها جسدان
فئتان عقدهما شريعة أحمد بأبي وأمي ذانك الفئتان
فئتان سالكتان في سبل الهدى ، وهما بدين الله قائمتان
قل : ان خير الانبياء محمد ، وأجل من يمشي على الكثبان
وأجل صحب الرسل صحب محمد، وكذاك أفضل صحبه العمران(٢)
رجلان قد خلقا لنصر محمد ، بدمي ونفسي ذانك الرجلان
فهما اللذان تظاهرا لنبينا في نصره ، وهما له صهران
بنتاهما(٣) أسنى نساء نبينا ، وهما له بالوحي صاحبتان
أبواهما أسنى صحابة أحمد ، ياحبذا الأبوان والبنتان
وهما وزيراه اللذان هما هما لفضائل الأعمال مستبقان
وهما لأحمد ناظراه وسمعه ، وبقربه في القبر مضطجعان

---

(١) يشير بذلك لقوله تعالى : يسألونك عن الأهلة قل : هي مواقيت للناس ٠

(٢) هما : سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما ٠

(٣) هما : أم المؤمنين عائشة ، وأم المؤمنين حفصة رضي الله عنهما ٠

كانا على الاسلام أشفق أهله ، وهما لدين محمد جبلان
أصفاهما ، أقواهما ، أخشاهما ، أتقاهما في السر والاعلان
أسناهما ، أزكاهما ، أعلاهما ، أوفاهما في الوزن والرجحان
صديق أحمد صاحب الغار الذي هو في المغارة والنبي اثنان
أعني أبا بكر الذي لم يختلف من شرعنا في فضله رجلان
هو شيخ أصحاب النبي ، وخيرهم، وامامهم حقا بلا بطلان
وأبو المطهرة التي تنزيهها قد جاءنا في النور والفرقان(١)
أكرم بعائشة الرضى من حرة بكر مطهرة الازار حصان
هي زوج خير الانبياء ، وبكره ، وعروسه من جملة النسوان
هي عرسه ، هي أنسه ، هي الفه ، هي حبه صدقا بلا ادهان
أوليس والدها يصافي بعلها ؟ وهما بروح الله مؤتلفان
لما قضى صديق أحمد نحبه دفع الخلافة للامام الثاني
أعني به الفاروق ، فرق عنوة بالسيف بين الكفر والايمان
هو أظهر الاسلام بعد خفائه ، ومحى الظلام ، وباح بالكتمان
ومضى ، وخلى الأمر شورى بينهم في الأمر ، فاجتمعوا على عثمان
من كان يسهر ليله في ركعة وتراً فيكمل ختمة القرآن
ولي الخلافة صهر أحمد بعده ، أعني : علي العالم الرباني
زوج البتول،أخا الرسول، وركنه، ليث الحروب ، منازل الأقران
سبحان من جعل الخلافة رتبة ، وبنى الامامة أيما بنيان
واستخلف الأصحاب كي لا يدعي من بعد أحمد في النبوة ثان
أكرم بفاطمة البتول وبعلها ، وبمن هما لمحمد سبطان
غصنان أصلهما بروضة أحمد ، لله در الأصل والغصنان(١)
أكرم بطلحة والزبير وسعدهم وسعيدهم وبعابد الرحمن
وأبي عبيدة ذي الديانة والتقى وامدح جماعة بيعة الرضوان

(١) كذا الأصل ، وبحسب قواعد النحو : الغصنين .

قل خير قول في صحابـة أحمد ، وامدح جميع الآل والنسوان
دع ما جرى بين الصحابة فيالوغى بسيوفهم يـوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم ، وقاتلهم لهم ، وكلاهما في الحشر مرحومان
والله يـوم الحشر ينزع كـل مـا تحوي صدورهم من الأضغان
والويل للركب الـذين سعوا الى عثمان ، فاجتمعوا على العصيان
ويل لمن قتل الحسين فانـه قد باء من مولاه بالخسران
لسنا نكفر مسلما بـكبيرة ، والله ذو عفو وذو غفران

* * *

لا تقبلن من التوارخ كل ما جمـع الـرواة ، وخط كـل بنان
ارو الحـديث المنتقى عـن أهلـه سيما ذوي الأحـلام والأسنان
كابن المسيب والعلاء ومالـك والليث والزهـري أو سفيان
واحفظ رواية جعفر بـن محمد ، فمكانه فيها أجل مـكان
واحفظ لأهل البيت واجب حقهم ، واعرف علياً أيمـا عرفان
لا تنتقصه ، ولا تـزد في قـدره ، فعليه تصلى النار طائفتان
احداهمـا لا ترضيـه خليفـة وتنصـه الأخـرى الهاً ثـاني
والعن زنادقة الروافض انهم اعناقهم غلت الى الأذقـان
جحدوا الشرائع والنبوة ، واقتدوا بفسـاد ملة صاحب الايوان (١)
لا تركنن الى الروافض ، انهم شتموا الصحابـة دونما برهان
لعنوا كما بغضوا صحابـة أحمد ، وودادهم فرض على الانسـان
حب الصحابة والقرابة سنة ، ألقى بهـا ربي اذا أحيـاني
احذر عقاب الله وارج ثوابه حتى تكون كمن لـه قلبان

* * *

ايمـاننا بالله بـين ثلاثـة : عمـل وقـول واعتقـاد جنان
ويزيد بالتقوى ، وينقص بالردى، وكـلاهما في القلب يعتلجـان

(١) هو كسرى أنو شروان ، وقد ذكره البحتري في وصفه للايوان . وعقيدته المجوسية .

واذا خلوت بريبة في ظلمة ... والنفس داعية الى الطغيان ،
فاستحي من نظر الأله ، وقل لها : ... ان الذي خلق الظلام يراني
كن طالبا للعلم ، واعمل صالحا ، ... فهما الى سبل الهدى سببان
لا تتبع علم النجوم ، فانه ... متعلق بزخارف الكهان
علم النجوم وعلم شرع محمد ... في قلب عبد ليس يجتمعان
لو كان علم للكواكب أو قضا ... لم يهبط المريخ في السرطان
والشمس في الحمل المضيء سريعة، ... وهبوطها في كوكب الميزان
والشمس محرقه لستة أنجم ، ... لكنها والبدر ينخسفان
ولربما اسودا وغاب ضياهما ، ... وهما لخوف الله يرتعدان
اردد على من يطمئن اليهما ، ... ويظن أن كليهما ربان
يامن يحب المشتري وعطارداً ... ويظن أنهما له سعدان
لم يهبطان ويعلوان تشرفا ، ... وبوهج حر الشمس يحترقان
أتخاف من زحل وترجو المشتري؟ ... وكلاهما عبدان مملوكان
والله لو ملكا حياة أوفنا ... لسجدت نحوهما ليصطنعاني
وليفسحا في مدتي ، ويوسعا ... رزقي ، وبالاحسان يكتنفاني
بل كل ذلك في يد الله الذي ... ذلت لعزة وجهه الثقلان
فقد استوى زحل ونجم المشتري ... والرأس والذنب العظيم الشان
والزهرة الغراء مع مريخها ... وعطارد الوقاد مع كيوان
ان قابلت ، وتربعت ، وتثلثت ، ... وتسدست وتلاحقت بقران
ألها دليل سعادة أو شقوة ؟ ... لا والذي برأ الورى وبراني
من قال بالتأثير فهو معطل ... للشرع متبع لقول ثان
ان النجوم على ثلاثة أوجه ... فاسمع مقال الناقد الدهقان
بعض النجوم خلقن زينا للسما ... كالدر فوق ترائب النسوان
وكواكب تهدي المسافر في السرى ... ورجوم كل مشابر شيطان
لا يعلم الانسان ما يقضى غدا ، ... اذ كل يوم ربنا في شان

والله يمطرنا الغيوث بفضله ، لا نوء حراء ولا دبران
من قال : ان الغيث جاء بهنعة ، أو صرفة ، أو كوكب الميزان
فقد افترى اثما وبهتاناً ، ولم ينزل به الرحمن من سلطان
وكذا الطبيعة للشريعة ضدها ، ولقل ما يتجمع الضدان
واذا طلبت طبائعا مستسلماً فاطلب شواظ النار في الغدران
علم الفلاسفة الغواة طبيعة ومعاد أرواح بلا أبدان
لولا الطبيعة عندهم وفعالها لم يمش فوق الارض من حيوان
والبحر عنصر كل ماء عندهم ، والشمس أول عنصر النيران
والغيث أبخرة تصاعد كلما دامت بهطل الوابل الهتان
والرعد ، عند الفيلسوف بزعمه ، صوت اصطكاك السحب في الأعنان
والبرق عندهم شواظ خارج بين السحاب يضيء في الأحيان
كذب أرسطاليسهم في قوله هذا ، وأسرف أيما هذيان
الغيث يفرغ في السحاب من السما ويكيله ميكال بالميزان
لا قطرة الا وينزل نحوها ملك الى الآكام والغيضان
والرعد صيحة مالك ، وهو اسمه، يزجي السحاب كسائق الأظعان
والبرق شوظ النار يزجرها به زجر الحداة العيس بالقضبان
أفكان يعلم ذا أرسطاليسهم تدبير ما انفردت به الجهتان ؟!
أم غاب تحت الارض، أم صعد السما ؟ فرأى بها الملكوت رأي عيان ؟!
أم كان دبر ليلها ونهارها ؟! أم كان يعلم كيف يختلفان ؟!
أم سار بطليموس بين نجومها حتى رأى السيار والمتواني ؟!
أم كان أطلع شمسها وهلالها ؟ أم هل نبصر كيف يعتقبان ؟!
أم كان أرسل ريحها وسحابها بالغيث يهمل أيما هملان ؟!
بل كان ذلك حكمة الله الذي بقضائه متصرف الأزمان
لا تستمع قول الضوارب بالحصى والزاجرين الطير بالطيران
فالفرقتان كذوبتان على القضا ، وبعلم غيب الله جاهلتان

كذب المهندس والمنجم مثله ، فهما لعلم الله مدعيان
الأرض عند كليهما كروية ، وهما بهذا القول مقترنان
والأرض عند أولي النهى لسطيحة بدليل صدق واضح القرآن
والله صيرها فراشاً للورى ، وبنى السماء بأحسن البنيان
والله أخبر أنها مسطوحة ، وأبان ذلك أيما تبيان
أأحاط بالأرض المحيطة علمهم ؟! أم بالجبال الشمخ الأكنان ؟!
أم يخبرون بطولها وبعرضها ؟! أم هل هما في القدر مستويان ؟!
أم فجروا أنهارها وعيونها ماء به يروى صدى العطشان ؟!
أم أخرجوا أثمارها ونباتها والنخل ذات الطلع والقنوان ؟!
أم هل لهم علم بعد ثمارها ، أم باختلاف الطعم والألوان ؟!
الله أحكم خلق ذلك كله صنعا ، وأتقن أيما اتقان
قل للطبيب الفيلسوف بزعمه : ان الطبيعة علمها برهاني
أين الطبيعة عند كونك نطفة في البطن اذ مشجت به الماآن ؟!
أين الطبيعة حين عدت عليقة في أربعين وقد مضى العددان ؟!
أين الطبيعة عند كونك مضغة في أربعين وقد مضى العددان ؟!
أترى الطبيعة صورتك مصورا بمسامع ونواظر وبنان ؟!
أترى الطبيعة أخرجتك منكسا من بطن أمك واهي الأركان ؟!
أم فجرت لك باللبان ثديها ، فرضعتها حتى مضى الحولان ؟!
أم صيرت في والديك محبة فهما بما يرضيك مغتبطان ؟!
يا فيلسوف ، لقد شغلت عن الهدى بالمنطق الرومي واليوناني
وشريعة الاسلام أفضل شرعة دين النبي الصادق العدناني
هو دين رب العالمين وشرعه ، وهو القديم وسيد الأديان
هو دين آدم والملائك قبله ، هو دين نوح صاحب الطوفان
وله دعا هود النبي ، وصالح ، وهما لدين الله معتقدان
وبه أتى لوط ، وصاحب مدين ، فكلاهما في الدين مجتهدان

هو دين ابراهيم ، وابنيه معا ، ويه نجا من لفحة النــيران
ويه حمى الله الذبيح من البلا لما فداه بأعظم القربان
هو دين يعقوب النبي ، ويونس ، وكلاهما في الله مبتليــان
هــو ديــن داود الخليفــة وابنه ، وبــه أذل لــه ملوك الجان
هو ديــن يحيى مــع أبيه وأمه ، نعــم الصبي وحبــذا الشيخان
ولــه دعــا عيسى بــن مريم قومــه لــم يدعهــم لعبــادة الصلبان
والله أنطقــه صبيــا بالهــدى في المهد ، ثم سما على الصبيان
وكمال دين الله شرع محمد صــلى عليــه منــزل القــرآن
الطيب الزاكي الــذي لــم يجتمع يــوماً على زلل لــه أبــوان
الطــاهر النسوان والولــد الــذي من ظهره الزهراء والحسنان
وأولو النبوة والهــدى مــا منهم أحــد يهــودي ولا نصــراني
بل مســلمون ومؤمنون بربهــم ، حنفاء في الاسرار والاعــلان

* * *

ولمــلة الاســلام خمس عقائد والله أنطقني بهــا وهــداني
لا تعص ربــك قائــلا أو فــاعلا ، فــكلاهما في الصحف مــكتوبــان
جمــل زمانك بالسكوت فانه زيــن الحليم وسترة الحيران
كن حلس بيتك ان سمعت بفتنة ، وتوق كــل منافق فتــان
أد الفرائض لا تكن متوانيا ، فتكون عند الله شــر مهــان
أدم السواك مع الوضوء فانه مرضي الالــه مطهــر الأسنــان
سم الاله لدى الوضوء بنية ، ثــم استعذ من فتنة الولهــان
فأساس أعمال الورى نياتهم ، وعلى الأســاس قواعد البنيــان
أسبغ وضوءك لا تفــرق شملــه ، فالفــور والاسباغ مفترضان
فاذا انتشقت فلا تبالــغ جيدا لــكنه شــم بــلا امعــان
وعليك فرضاً غسل وجهك كله ، والمــاء متبــع بــه الجفنــان
واغسل يديك الى المرافق مسبغاً ، فــكلاهما في الغسل مدخولان

وامسح برأسك كله مستوفيا ، والماء ممسوح به الأذنان
وكذا التمضمض في وضوئك سنة بالماء ، ثم تمجه الشفتان
والوجه والكفان غسل كليهما فرض ، ويدخل فيهما العظمان
غسل اليدين لدى الوضوء نظافة ، أمر النبي بها على استحسان
سيما اذا ما قمت في غسق الدجى ، واستيقظت من نومك العينان
وكذلك الرجلان غسلهما معاً فرض ، ويدخل فيهما الكعبان
لا تستمع قول الروافض ، انهم من رأيهم أن تمسح الرجلان
يتأولون قراءة منسوخة بقراءة ، وهما منزلتان
احداهما نزلت لتنسخ أختها ، لكن هما في الصحف مثبتتان
غسل النبي وصحبه أقدامهم ، لم يختلف في غسلهم رجلان
والسنة البيضاء عند أولي النهى في الحكم قاضية على القرآن
فاذا استوت رجلاك في خفيهما وهما من الأحداث طاهرتان ،
وأردت تجديد الطهارة محدثاً فتمامها أن يمسح الخفان
واذا أردت طهارة لجنابة فليخلعا ، ولتغسل القدمان
غسل الجنابة في الرقاب أمانة ، فأداؤها من أكمل الايمان
فاذا ابتليت فبادرن بغسلها ، لا خير في متبط كسلان
واذا اغتسلت فكن لجسمك دالكاً حتى يعم جميعه الكفان
واذا عدمت الماء كن متيمما من طيب ترب الأرض والجدران
متيمماً صليت أو متوضئاً ، فكلاهما في الشرع مجزيتان
والغسل فرض ، والتدلك سنة ، وهما بمذهب مالك فرضان
والماء ما لم تستحل أوصافه بنجاسة ، أو سائر الأدهان
فاذا صفى في لونه أو طعمه مع ريحه من جملة الأضغان
فهناك سمي طاهراً ومطهراً ، هذان أبلغ وصفه هذان
فاذا تغير لونه أو طعمه من حمأة الآبار والغدران
جاز الوضوء لنا به وطهورنا ، فاسمع بقلب حاضر يقظان

ومتى نمت في الماء نفس لم يجز | منه الطهور لعلة السيلان
الا اذا كان الغدير مرجرجا | غدقا بلا كيل ولا ميزان
أو كانت الميتات مما لم تسل | والما(١) قليل طاب للغسلان
والبحر أجمعه طهور ماؤه | وتحل ميتته من الحيتان
اياك نفسك ، والعدو ، وكيده ، | فكلاهما لأذاك مبتديان
واحذر وضوءك مفرطا ومفرطا ، | فكلاهما في العلم محذوران
فقليل مائك في وضوئك خدعة | لتعود صحته الى البطلان
وتعود مغسولاته ممسوحة ، | فاحذر غرور المارد الخوان
وكثير مائك في وضوئك بدعة ، | يدعو الى الوسواس والهملان
لا تكثرن ، ولا تقلل ، واقتصد ، | فالقصد والتوفيق مصطحبان
واذا استطبت ففي الحديث ثلاثة | لم يجزنا حجر ولا حجران
من أجل أن لكل مخرج غائط | شرجا تضم عليه ناحيتان
واذا الأذى قد جاز موضع عادة | لم يجز الا الماء بالامعان
تقض الوضوء بقبلة ، أو لمسة ، | أو طول نوم ، أو بمس ختان
أو بولة ، أو غائط ، أو نومة ، | أو نفخة في السر والاعلان
ومن المذي ، أو الودي كلاهما ، | من حيث يبدو البول ينحدران
ولربما نفخ الخبيث بمكره | حتى يضم لنفخه الفخذان
وبيان ذلك صوته أو ريحه ، | هاتان بينتان صادقتان
والغسل فرض من ثلاثة أوجه : | دفق المني ، وحيضة النسوان ،
انزاله في نومة أو يقظة ، | حالان للتطهير موجبتان
وتطهر الزوجين فرض واجب | عند الجماع ، اذا التقى الفرجان
فكلاهما ان أنزلا أو أكسلا | فهما بحكم الشرع يغتسلان
واغسل اذا أمذيت فرجك كله ، | والأنثيان فليس يفترضان

---

(١) أي الماء

والحيض والنفساء أصل واحد ... عند انقطاع الدم يغتسلان
واذا أعادت بعد شهرين الدما ... تلك استحاضة بعد ذي الشهران(١)
فلتغتسل لصلاتها وصيامها ، ... والمستحاضة دهرها نصفان
فالنصف تترك صومها وصلاتها ، ... ودم المحيض وغيره لونان
واذا صفى منها وأشرق لونه ... فصلاتها والصوم مفترضان
تقضي الصيام ولا تعيد صلاتها ، ... ان الصلاة تعود كل زمان
فالشرع والقرآن قد حكما به ... بين النساء فليس يطرحان
ومتى تر النفساء طهراً تغتسل ... أو لا فغاية طهرها شهران
مس النساء على الرجال محرم ، ... حرث السباخ خسارة الحرثان
لا تلق ربك سارقاً ، أو خائنا ، ... أو شارباً ، أو ظالماً ، أو زاني
قل : ان رجم الزانيين كليهما ... فرض اذا زنيا على الاحصان
والرجم في القرآن فرض لازم ... للمحصنين ، ويجلد البكران
والخمر يحرم بيعها وشراؤها ، ... سيان ذلك عندنا سيان
في الشرع والقرآن حرم شربها ، ... وكلاهما لا شك متبعان

* * *

أيقن بأشراط القيامة كلها ... واسمع هديت نصيحتي وبياني
كالشمس تطلع من مكان غروبها ، ... وخروج دجال ، وهول دخان
وخروج يأجوج ومأجوج معا ... من كل صقع شاسع ومكان
ونزول عيسى قاتلا دجالهم ، ... يقضي بحكم العدل والاحسان
واذكر خروج فصيل ناقة صالح ... يسم الورى بالكفر والايمان
والوحي يرفع والصلاة من الورى، ... وهما لعقد الدين واسطتان

* * *

صل الصلاة الخمس أول وقتها ... اذ كل واحدة لها وقتان
قصر الصلاة على المسافر واجب ، ... وأقل حد القصر مرحلتان

(١) كذا في الأصل والأصح الشهرين حسب موقعها من الاعراب

كلتاهما في أصل مذهب مالك خمسون ميلا نقصها ميلان
واذا المسافر غاب عن أبياته فالقصر والافطار مفعولان
وصلاة مغرب شمسنا وصباحنا في الحضر والأسفار كاملتان
والشمس حين تزول من كبدالسما فالظهر ثم العصر واجبتان
والظهر آخر وقتها متعلق بالعصر والوقتان مشتبكان
لا تلتفت ما دمت فيها قائماً ، واخشع بقلب خائف رهبان
وكذا الصلاة غروب شمس نهارنا وعشائنا ، وقتان متصلان
والصبح منفرد بوقت مفرد لكن لها وقتان مفرودان
فجر واسفار وبين كليهما وقت لكل مطول متوان
وارقب طلوع الفجر واستيقن به ، فالفجر عند شيوخنا فجران
فجر كذوب ، ثم فجر صادق ، ولربما في العين يشتبهان
والظل في الأزمان مختلف كما زمن الشتا والصيف مختلفان
فاقرأ اذا قرأ الامام مخافتاً واسكت اذا ما كان ذا اعلان
ولكل سهو سجدتان فصلها قبل السلام وبعده قولان
سنن الصلاة مبينة وفروضها ، فاسأل شيوخ الفقه والاحسان
فرض الصلاة ركوعها وسجودها ، ما ان تخالف فيهما رجلان
تحريمها تكبيرها ، وحلالها تسليمها ، وكلاهما فرضان
والحمد فرض في الصلاة قرآتها ، آياتها سبع وهن مثاني
في كل ركعات الصلاة معادة ، فيها ببسملة ، فخذ تبياني
واذا نسيت قرآتها في ركعة فاستوف ركعتها بغير توان
اتبع امامك خافضا أو رافعاً ، فكلاهما فعلان محمودان
لا ترفعن قبل الامام ولا تضع ، فكلاهما أمران مذمومان
ان الشريعة سنة وفريضة ، وهما لدين محمد عقدان
لكن أذان الصبح عند شيوخنا من قبل أن يتبين الفجران
هي رخصة في الصبح لا في غيرها من أجل يقظة غافل وسنان

أحسن صلاتك راكعا أو ساجداً بتطمؤن وترفق وتـدان
لا تدخلن الى صلاتك حاقناً فالأحتقان يخل بالاركان
بيت من الليل الصيام بنية من قبل أن يتميز الخيطان
يجزيك في رمضان نية ليلة ، اذ ليس مختلطاً بعقد ثان
رمضان شهر كامل في عقدنا ، ما حله يوم ولا يومان
الا المسافر والمريض فقد أتى تأخير صومهما لوقت ثان
وكذاك حمل والرضاع كلاهما في فطرة لنسائنا عذران
عجل بفطرك ، والسحور مؤخر ، فكلاهما أمران مرغوبان
حصن صيامك بالسكوت عن الخنا، أطبق على عينيك بالأجفان

* * *

لا تمش ذا وجهين من بين الورى، شر البرية من له وجهان
لا تحسدن أحداً على نعمائه ، ان الحسود لحكم ربك شان
لا تسع بين الصاحبين نميمة ، فلأجلها يتباغض الخلان
والعين حق غير سابقة لما . يقضى من الأرازق والحرمان
والسحر كفر فعله لا علمه ، من ههنا يتفرق الحكمان
والقتل حد الساحرين اذا هم عملوا به للكفر والطغيان
وتحر بر الوالدين فانه فرض عليك ، وطاعة السلطان
لا تخرجن على الامام محاربا ولو انه رجل من الحبشان
ومتى أمرت ببدعة أو زلة فاهرب بدينك آخر البلدان
الدين رأس المال فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران
لا تخل بامرأة لديك بريبة ، لو كنت في النساك مثل بنان
ان الرجال الناظرين الى النسا مثل الكلاب تطوف باللحمان
ان لم تصن تلك اللحوم أسودها أكلت بلا عوض ولا أثمان
لا تقبلن من النساء مودة فقلوبهن سريعة الميلان
لا تتركن أحداً بأهلك خالياً فعلى النساء تقاتل الأخوان

واغضض جفونك عن ملاحظة النسا ومحاسن الأجـداث والصبيان
لا تجعلن طلاق أهلـك عرضة ، ان الطلاق لأخبث الأيمـان
ان الطلاق مـع العتاق، كلاهمـا قسمان عنـد الله ممقوتـان
واحفر لسرك في فؤادك ملحـداً ، وادفنه في الأحشاء أي دفان
ان الصـديق مـع العـدو كلاهما في السر عند أولي النهى شكلان
لا يبـد منك الى صديقك زلـة ، واجعـل فؤادك أوثـق الخـلان
لا تحقرن مـن الذنوب صغارها ، فـالقطر منه تدفـق الخلجـان
واذا نـذرت فـكن بنذرك موفيا ، فالنـذر مثـل العهـد مسؤولان
لا تشغلـن بعيـب غـيرك غافـلا عن عيب نفسـك ، انـه عيبـان

* * *

لا تفن عمرك في الجدال مخاصماً، ان الجـدال يخـل بالأديـان
واحذر مجادلـة الرجـال فانهـا تـدعو الى الشحناء والشنآن
واذا اضطررت الى الجدال ولم تجد لـك مهرباً وتلاقت(٢) الصفـان
فاجعـل كتاب الله درعـاً سـابغاً ، والشرع سيفك ، وابـد في الميدان
والسـنة البيضـاء دونـك جنـة ، واركب جـواد العزم في الجولان
واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى، فالصبر أوثـق عـدة الانسـان
واطعن برمح الحق كـل معاند ، لله در الفـارس الطعـان
واحمل بسيف الصدق حملة مخلص متجـرد لله غـير جبـان
واحذر بجهدك مـكر خصمك انه كـالثعلب البري في الروغـان
أصل الجدال من السؤال ، وفرعه حسن الجواب باحسن التبيان
لا تلتفت عنـد السؤال ولا تعـد لفظ السؤال ، كـلاهما عيبـان
واذا غلبت الخصـم لا تهزأ بـه ، فالعجب يخمـد جمرة الاحسـان
فلربما انهـزم المحـارب عامـداً ، ثم انثنى قسطا على الفرسان
واسكت اذا وقع الخصوم وقعقعوا، فلربما ألقـوك في بحـران

(٢) كذا الأصل .

ولربما ضحك الخصوم لدهشة — فاثبت، ولا تنكل عن البرهان
فاذا أطالوا في الكلام فقل لهم : — ان البلاغة لجمت ببيان
لا تغضبن اذا سئلت ولا تصح، — فكلاهما خلقان مذمومان
واذا انقلبت عن السؤال مجاوباً، — فكلاهما لا شك منقطعان
واحذر مناظرة بمجلس خيفة — حتى تبدل خيفة بأمان(٢)
ناظر أديباً منصفا لك عاقلا، — وانصفه أنت بحسب ما تريان
ويكون بينكما حكيم حاكما — عدلا، اذا جئتماه تحتكمان

* * *

كن طول دهرك ساكتاً متواضعاً، — فهما لكل فضيلة بابان
واخلع رداء الكبر عنك فانه — لا يستقل بحمله الكتفان
كن فاعلا للخير قوالا له، — فالقول مثل الفعل مقترنان
من غوث ملهوف، وشبعة جائع، — ودثار عريان، وفدية عان(١)
فاذا فعلت الخير لا تمنن به، — لا خير في متمدح منان
اشكر على النعماء واصبر للبلا، — فكلاهما خلقان ممدوحان
لا تشكون بعلة أو قلة، — فهما لعرض المرء فاضحتان
صن حر وجهك بالقناعة انما — صون الوجوه مروءة الفتيان
بالله ثق، وله أنب، وبه استعن، — فاذا فعلت فأنت خير معان
واذا عصيت فتب لربك مسرعاً — حذر الممات، ولا تقل لم يان
واذا ابتليت بعسرة فاصبر لها، — فالعسر فرد بعده يسران
لا تحش بطنك بالطعام تسمناً، — فجسوم أهل العلم غير سمان
لا تتبع شهوات نفسك مسرفاً، — فالله يبغض عابداً شهواني
أقلل طعامك ما استطعت فانه — نفع الجسوم وصحة الأبدان

---

(٢) كذا الاصل، والمعنى مقلوب لأن الباء تدخل على المتروك لا الوافد كما في قوله تعالى : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم .

(١) الرجل الذي يعاني الشدائد خصص بالأسير .

واملك هواك بضبط بطنك ، انه شر الرجال العاجز البطناني
ومن استذل لفرجه ولبطنه فهما له مع ذا الهوى بطنان
حصن التداوي المجاعة والظما ، وهما لفك نفوسنا قيدان
أظمىء نهارك ترو في دار العلا يوماً يطول تلهف العطشان
حسن الغذاء ينوب عن شرب الدوا سيما مع التقليل والادمان
اياك والغضب الشديد على الدوا فلربما أفضى الى الخذلان
دبر دواءك قبل شربك ، وليكن متألف الأجزاء والأوزان
وتداو بالعسل المصفى ، واحتجم ، فهما لدائك كله برآن
لا تدخل الحمام شبعان الحشى ، لا خير في الحمام للشبعان
والنوم فوق السطح من تحت السما يفني ، ويذهب نضرة الأبدان
لا تفن عمرك في الجماع ، فانه يكسو الوجوه بحلة اليرقان
أحذرك من نفس العجوز وبضعها، فهما لجسم ضجيعها سقمان
عانق من النسوان كل فتية ، أنفاسها كروائح الريحان
لا خير في صور المعازف كلها ، والرقص والايقاع في القضبان
ان التقي لربه متنزه عن صوت أوتار وسمع أغان
وتلاوة القرآن من أهل التقى سيما بحسن شجا وحسن بيان
أشهى وأوفى في النفوس حلاوة من صوت مزمار ونقر مثان
وحنينه في الليل أطيب مسمعا من نغمة النايات والعيدان
أعرض عن الدنيا الدنية زاهداً ، فالزهد عند أولي النهى زهدان
زهد عن الدنيا وزهد في الثنا طوبى لمن أمسى له الزهدان
لا تنتهب مال اليتامى ظالما ، ودع الربا فكلاهما فسقان
واحفظ لجارك حقه وذمامه ، ولكل جار مسلم حقان
واضحك لضيفك حين ينزل رحله، ان الكريم يسر بالضيفان
واصل ذوي الأرحام منك وان جفوا فوصالهم خير من الهجران
واصدق ، ولا تحلف بربك كاذباً، وتحر في كفارة الأيمان

وتوق أيمان الغموس ، فانها   تدع الديار بلاقع الحيطان

حد النكاح من الحرائر أربع ،   فاطلب ذوات الحسن والاحصان

لا تنكحن محدة في عدة   فنكاحها وزناؤها شبهان

عدد النساء لها فرائض أربع ،   لكن يضم جميعها أصلان

تطليق زوج داخل ، أو موته   قبل الدخول وبعده سيان

وحدودهن على ثلاثة أقرؤ ،   أو أشهر ، وكلاهما جسران

وكذاك عدة من توفى زوجها   سبعون يوماً بعدها شهران

عدد الحوامل من طلاق أو فنا   وضع الأجنة صارخاً أو فاني

وكذاك حكم السقط في اسقاطه ،   حكم التمام كلاهما وضعان

من لم تحض،أومن تقلص حيضها،   قد صح في كلتيهما العددان

كلتاهما تبقى ثلاثة أشهر   حكماً هما في النص مستويان

عدد الجوار من الطلاق بحيضة ،   ومن الوفاة الخمس والشهران

فبطلقتين تبين من زوج لها   لارد الا بعد زوج ثان

وكذا الحرائر فالثلاث تبينها ،   فيحل تلك وهذه زوجان

فلتنكحا زوجيهما عن غبطة   ورضى ، بلا دلس ولا عصيان

حتى اذا امتزج النكاح بدلسة ،   فهما مع الزوجين زانيتان

اياك والتيس المحلل ، انه   والمستحل لردها تيسان

لعن النبي محللا ومحللا   فكلاهما في الشرع ملعونان

لا تضربن أمة ولا عبداً جنى ،   فكلاهما بيديك مأسوران

أعرض عن النسوان جهدك وانتدب   لعناق خيرات هناك حسان

في جنة طابت وطاب نعيمها   من كل فاكهة بها زوجان

أنهارها تجري لهم من تحتهم   محفوفة بالنخل والرمان

غرفاتها من لؤلؤ وزبرجد ،   وقصورها من خالص العقيان

قصرت بها للمتقين كواعب   يشبهن(١) بالياقوت والمرجان

---

(١) كذا في الأصل ولعلها سبهن ·

بيض الوجوه شعورهن حوالك ، حمر الخدود عواتق الأجفان
فلج الثغور اذا ابتسمن ضواحكاً ، هيف الخصور نواعم الأبدان
خضر الثياب ، ثديهن نواهد ، صفر الحلي ، عواطر الأردان
طوبى لقوم هن أزواج لهم في دار عدن في محل أمان
يسقون من خمر لذيذ شربها بأنامل الخدام والولدان
لو تنظر الحوراء عند وليها ، وهما فويق الفرش متكآن
يتنازعان الكأس في أيديهما ، وهما بلذة شربها فرحان
ولربما تسقيه كأساً ثانيا ، وكلاهما برضابها حلوان
يتحدثان على الأرائك خلوة وهما بثوب الوصل مشتملان
أكرم بجنات النعيم وأهلها اخوان صدق أيما اخوان
جيران رب العالمين وحزبه ، أكرم بهم في صفوة الجيران
هم يسمعون كلامه ويرونه ، والمقلتان اليه ناظرتان
وعليهم فيها ملابس سندس ، وعلى المفارق أحسن التيجان
تيجانهم من لؤلؤ ، وزبرجد ، أو فضة من خالص العقيان
وخواتم من عسجد ، وأساور من فضة ، كسيت بها الزندان
وطعامهم من لحم طير ناعم كالبخت يطعم سائر الألوان
وصحافهم ذهب ، ودر فائق ، سبعون ألفاً فوق ألف خوان
ان كنت مشتاقا لها كلفاً بها ، شوق الغريب لرؤية الأوطان
كن محسناً فيما استطعت فربما تجزى عن الاحسان بالاحسان
واعمل لجنات النعيم وطيبها ، فنعيمها يبقى وليس بفان
أدم الصيام مع القيام تعبدا ، فكلاهما عملان مقبولان
قم في الدجى، واتل الكتاب،ولاتنم الا كنومة حائر ولهان
فلربما تأتي المنية بغتة ، فتساق من فرش الى الاكفان
ياحبذا عينان في غسق الدجى من خشية الرحمن باكيتان
لا تقذفن المحصنات ، ولا تقل ما ليس تعلمه من البهتان

لا تدخلن بيوت قوم حضر ... الا بنحنحة أو استئذان
لا تجزعن اذا دهتك مصيبة ، ... ان الصبور ثوابه ضعفان
فاذا ابتليت بنكبة فاصبر لها ، ... الله حسبي وحده وكفاني
وعليك بالفقه المبين شرعنا ، ... وفرائض الميراث ، والقرآن
علم الحساب ، وعلم شرع محمد ، ... علمان مطلوبان متبعان
لولا الفرائض ضاع ميراث الورى ... وجرى خصام الولد والشيبان
لولا الحساب وضربه وكسوره ... لم ينقسم سهم ولا سهمان
لا تلتمس علم الكلام فانه ... يدعو الى التعطيل والهيمان
لا يصحب البدعى الا مثله ... تحت الدخان تأجج النيران
علم الكلام ، وعلم شرع محمد ، ... يتغايران ، وليس يشتبهان
أخذوا الكلام عن الفلاسفة الأولى ... جحدوا الشرائع ، غرة وأمان ؟
حملوا الأمور على قياس عقولهم ... فتبلدوا كتبلد الحيران
مرجيهم يزري على قدريهم ، ... والفرقتان لدي كافرتان
ويسب مختاريهم دوريهم ، ... والقرمطي ملاعن الرفضان
ويعيب كراميهم وهبيهم ، ... وكلاهما يروي عن ابن أبان
لحجاجهم شبه تخال ورونق ... مثل السراب يلوح للظمآن
دع أشعريهم ومعتزليهم ... يتناقرون تناقر الغربان
كل يقيس بعقله سبل الهدى ، ... ويتيه تيه الواله الهيمان
فالله يجزيهم بما هم أهله ، ... وله الثنا من قولهم براني
من قاس شرع محمد في عقله ... قذفت به الأهواء في غدران
لا تفتكر في ذات ربك ، واعتبر ... فيما به يتصرف الملوان
والله ربي ما تكيف ذاته ... بخواطر الأوهام والأذهان
أمرر أحاديث الصفات كما أتت ... من غير تفسير ولا هذيان
هو مذهب الزهري ووافق مالك ، ... وكلاهما في شرعنا علمان
لله وجه لا يحد بصورة ... ولربنا عينان ناظرتان

وله يدان كما يقول الهنا ، ويمينه جلت عن الأيمان
كلتا يدي ربي يمين وصفها ، فهما على الثقلين منفقتان
كرسيه وسع السموات العلى ، والأرض وهو يعمه القدمان
والله يضحك لا كضحك عبيده ، والكيف ممتنع على الرحمان
والله ينزل كل آخر ليلة لسمائه الدنيا بلا كتمان
فيقول : هل من سائل فأجيبه ؟ فأنا القريب أجيب من ناداني
حاشا الاله بأن تكيف ذاته ، فالكيف والتمثيل منتفيان
والأصل أن الله ليس كمثله شيء ، تعالى الرب ذو الاحسان
وحديثه القرآن وهو كلامه ، صوت وحرف ليس يفترقان
لسنا نشبه ربنا بعباده ، رب وعبد كيف يشتبهان ؟!
فالصوت ليس بموجب تجسيمه ، اذ كانت الصفتان تختلفان
حركات ألسننا وصوت حلوقنا مخلوقة ، وجميع ذلك فان
وكما يقول الله ربي لم يزل حياً وليس كسائر الحيوان
وحياة ربي لم تزل صفة له ، سبحانه من كامل ذي الشأن
وكذاك صوت الهنا ونداؤه حقاً أتى في محكم القرآن
وحياتنا بحرارة وبرودة ، والله لا يعزى له هذان
وقوامها برطوبة ويبوسة ، ضدان أزواج هما ضدان
سبحان ربي عن صفات عباده أو أن يكون مركباً جسداني
اني أقول فأنصتوا لمقالتي يامعشر الخلطاء والاخوان
ان الذي هو في المصاحف مثبت بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آيه وحروفه ، ومدادنا والرق مخلوقان
من قال في القرآن ضد مقالتي فالعنه كل اقامة وأذان
هو في المصاحف والصدور حقيقة، أيقن بذلك أيما ايقان
وكذا الحروف المستقر حسابها عشرون حرفاً بعدهن ثمان
هي من كلام الله جل جلاله حقا ، وهن أصول كل بيان

حاء ، وميم ، قول ربي وحده ، من غير أنصار ولا أعوان
من قال في القرآن ما قد قاله عبد الجليل وشيعة اللحيان
فقد افترى كذباً واثماً واقتدى بكلاب كلب معرة النعمان
خالطتهم حيناً فلو عاشرتهم لضربتهم بصوارمي ولساني
تعس العمي أبو العلاء فانه قد كان مجموعاً له العميان
ولقد نظمت قصيدتين بهجوه ، أبيات كل قصيدة مئتان
والآن أهجو الأشعري وحزبه وأذيع ما كتموا من البهتان
يامعشر المتكلمين عدوتم عدوان أهل السبت في الحيتان
كفرتم أهل الشريعة والهدى ، وطعنتم بالبغي والعدوان
فلأنصرن الحق حتى أنه أسطو على ساداتكم بطعاني
الله صيرني عصا موسى لكم حتى تلقف افككم ثعباني
بأدلة القرآن أبطل سحركم ، وبه أزلزل كل من لاقاني
هو ملجئي هو مدرئي هو منجني من كيد كل منافق خوان
ان حل مذهبكم بأرض أجدبت ، أو أصبحت قفراً بلا عمران
والله صيرني عليكم نقمه ، ولهتك ستر جميعكم أبقاني
أنا في حلوق جميعكم عودالشجاء أعيا أطبتكم غموض مكاني
أنا حية الوادي ، أنا أسد الشرى، أنا مرهف ماضي الغرار يماني
بين ابن حنبل وابن اسما عيلكم ، سخط بذيقكم الحميم الآني
داريتم علم الكلام تشزراً ، والفقه ليس لكم عليه بدان
الفقه مفتقر لخمس دعائم ، لم يجتمع منها لكم ثنتان
حلم ، واتباع لسنة أحمد ، وتقى ، وكف أذى ، وفهم معان
آثرتم الدنيا على أديانكم ، لا خير في دنيا بلا أديان
وفتحتم أفواهكم وبطونكم ، فبلعتم الدنيا بغير توان
كذبتم أقوالكم بفعالكم ، وحملتم الدنيا على الأديان
قراؤكم قد أشبهوا فقهاءكم ، فئتان للرحمن عاصيتان

يتكالبان على الحرام وأهله	فعل الكلاب بجيفة اللحمان
ياأشعرية هل شعرتم أنني	رمد العيون وحكة الأجفان
أنا في، كبود الأشعرية قرحة	أربو فأقتل كل من يشناني
ولقد برزت الى كبار شيوخكم	فصرفت منهم كل من ناواني
وقلبت أرض حجاجهم ، ونثرتها ،	فوجدتها قولا بلا برهان
والله أيدني وثبت حجتي ،	والله من شبهاتهم نجاني
والحمد لله المهيمن دائما	حمداً يلقح فطنتي وجناني

★ ★ ★

أحسبتم يا أشعرية أنني	ممن يقعقع خلفه بشنان
أفتستر الشمس المضيئة بالسها ؟	أم هل يقاس البحر بالخلجان ؟!
عمري ، لقد فتشتكم فوجدتكم	حمراً بلا عنن ولا أرسان
أحضرتكم ،وحشرتكم، وقصدتكم،	وكسرتكم كسرا بلا جبران
أزعمتم أن القرآن (١) عبارة ،	فهما كما تحكمون قرآنان
ايمان جبريل وايمان الذي	ركب المعاصي عندكم سيان ؟
هذا الجويهر والعريض بزعمكم ،	أهما لمعرفة الهدى أصلان ؟
من عاش في الدنيا ولم يعرفهما ،	وأقر بالاسلام والفرقان ،
أفمسلم هو عندكم أم كافر ؟	أم غافل ، أم جاهل ، أم واني ؟
عطلتم السبع السموات العلى ،	والعرش أخليتم من الرحمن
وزعمتم أن البلاغ لأحمد	في آية من جملة القرآن
هذي الشقاشق،والمخارف ،والهوى،	والمذهب المستحدث الشيطاني
سميتم علم الأصول ضلالة	كاسم النبيذ لخمرة الأدنان
ونعت محارمكم على أمثالكم ،	والله عنها صانني وحماني
اني اعتصمت بحبل شرع محمد ،	وعضضته بنواجذ الأسنان

★ ★ ★

---

(١) أي القرآن الكريم .

أشعرتم يا أشعرية أنني … طوفان بحر ، أيما طوفان ؟!
أنا همكم ، أنا غمكم ، أنا سقمكم ، … أنا سمكم في السر والاعلان
أذهبتم نور القرآن (١) وحسنه … من كل قلب واله لهفان
فوحق جبار على العرش استوى … من غير تمثيل كقول الجاني
ووحق من ختم الرسالة والهدى … بمحمد فزهى به الحرمان
لأقطعن بمعولي أعراضكم … ما دام يصحب مهجتي جثماني
ولأهجونكم ، وأثلب حزبكم … حتى تغيب جثتي أكفاني
ولأهتكن بمنطقي أستاركم … حتى أبلغ قاصياً أو داني
ولأهجون صغيركم وكبيركم … غيظاً لمن قد سبني وهجاني
ولأنزلن بكم أليم صواعقي ، … ولتحرقن كبودكم نيراني
ولأقطعن بسيف حقي زوركم ، … وليخمدن شواظكم طوفاني
ولأقصدن الله في خذلانكم ، … وليمنعن جميعكم خذلاني
ولأحملن على عتاة طغاتكم … حمل الأسود على قطيع الضان
ولأرمينكم بصخر مجانقي … حتى يهد عتوكم سلطاني
ولاكتبن الى البلاد بسبكم ، … فيسير سير البزل بالركبان
ولأدحضن بحجتي شبهاتكم … حتى يغطي جهلكم عرفاني
ولأغضبن لقول ربي فيكم … غضب النمور وجملة العقبان
ولأضربنكم بصارم مقولي … ضرباً يزعزع أنفس الشجعان
ولأسعطن من الفضول انوفكم … سعطاً يعطس منه كل جبان
اني بحمد الله عند قتالكم … لمحكم في الحرب ثبت جنان
واذا ضربت فلا تخيب مضاربي ، … واذا طعنت فلا يروغ طعاني
واذا حملت على الكتيبة منكم … مزقتها بلوامع البرهان
الشرع والقرآن أكبر عدتي ، … فهما لقطع حجاجكم سيفان
ثقلا على أبدانكم ورؤوسكم ، … فهما لكسر رؤوسكم حجران

---

(١) هو القرآن الكريم وذكر بالمنظومة مسهلا .

ان أنتم سالمتم سولمتم ... وسلمتم من حيرة الخذلان
ولئن أبيتم واعتديتم في الهوى ... فنضالكم في ذمتي وضماني
ياأشعرية ، ياأسافلة الورى ، ... ياعمي ، ياصم بلا آذان
اني لأبغضكم وأبغض حزبكم ... بغضاً أقل قليله أضناني
لو كنت أعمى المقلتين لسرني ... كيلا يرى انسانكم انساني
تغلي قلوبكم على بحرها ... حنقاً ، وغيظاً ، أيما غليان
موتوا بغيظكم ، وموتوا حسرة ، ... وأسى علي ، وعض كل بنان
قد عشت مسروراً ، ومت مخفراً، ... ولقيت ربي سرني ورعاني
وأباحني جنات عدن آمناً ، ... ومن الجحيم بفضله عافاني
ولقيت أحمد في الجنان وصحبه ، ... والكل عند لقائهم أدناني
لم ادخر عملا لربي صالحاً ، ... لكن باسخاطي لكم أرضاني
أنا تمرة الأحباب حنظلة العدا ، ... أنا غصة في حلق من عاداني
وأنا المحب لأهل سنة أحمد ، ... وأنا الأديب الشاعر القحطاني

* * *

سل عن بني قحطان كيف فعالهم ... يوم الهياج اذا التقى الزحفان
سل كيف نثرهم الكلام ونظمهم ، ... وهما لهم سيفان مسلولان
نصروا بألسنة حدا سلق ... مثل الأسنة شرعت لطعان
سل عنهم عند الجدال اذا التقى ... منهم ومن أضدادهم خصمان
نحن الملوك بنو الملوك وراثة ... أسد الهياج وأبحر الاحسان
لا قومنا بخلاء ، ولا بأذلة ... عند الحروب ، ولا النسا بزواني

* * *

ياأشعرية ، ياجميع من ادعى ... بدعاً ، وأهواء ، بلا برهان
جاءتكم سنية مأمونة ... من شاعر ذرب اللسان معان
خرز القوافي بالمدائح والهجا ، ... فكأن جملتها لدي عواني
يهوى فصيح القوم من لهواته ... كالصخر يهبط من ذرا كهلان

اني قصدت جميعكم بقصيدة ... هتكت ستوركم على البلدان
هي للروافض درة عمرية ، ... تركت رؤوسهم بلا آذان
هي للمنجم ، والطبيب ، منية ، ... فكلاهما ملقان مختلفان
هي في رؤوس المارقين شقيقة ، ... ضربت لفرط صداعها الصدغان
هي في قلوب الأشعرية كلهم ... صاب، وفي الأجساد كالسعدان(١)
لكن لأهل الحق شهداً صافياً ... أو سمر ينرب ذلك الصيحاني(٢)
وأنا الذي حبرتها ، وجعلتها ... منظومة كقلائد المرجان
ونصرت أهل الحق مبلغ طاقتي ، ... وصفعت كل مخالف صفعان
مع أنها جمعت علوماً جمة ... مما يضيق لشرحها ديواني
أبياتها مثل الحدائق تجتني ... سمعاً ، وليس يملهن الجاني
وكأن رسم سطورها في طرسها ... وشي تنمقه أكف غواني
والله أسأله قبول قصيدتي ... مني ، وأشكره لما أولاني
صلى الاله على النبي محمد ... ما ناح قمري على الأغصان(٣)
وعلى جميع بناته ونسائه ، ... وعلى جميع الصحب والاخوان
بالله قولوا كلما أنشدتم : ... رحم الاله صداك ياقحطاني

تمت بحمد الله

(١) السعدان نبات دو شوك ينبت في الصحراء
(٢) الصيحاني نوع من التمر أكثر ما يؤكل مأدوما بالسمن
(٣) القمري طائر مغرد يبدو تغريده كالنواح

وقلت مادحاً ومقرظاً هذه القصيدة الغراء ، وصادحاً ومعرضاً بفضل ناسخ فوائدها ، وناسق فرائدها ، التي هي قرة عين القراء ، وأنا الفقير الى رحمة الملك المنان علي بن سليمان ، أسبل عليهما الرحمن ردآء العفو والغفران :

يامن يروم نجاته يوم الجزا ... والفوز بالجنات والرضوان
اسمع وصية ناصح يهدي الى ... دين الاله وسنة العدناني
قرت بها عين الشريعة ، وارتوت ... منها رياض الفضل والاحسان
وتفجرت منها ينابيع الهدى ، ... فجلت صدا التعطيل والبهتان
وبدا لنا منها صباح مسفر ، ... لكن يراه من له عينان
فاتبع مسالكها وسر في ضوئها ، ... واحذر سلوك مناهج الشيطان
نظمت لآليها قريحة جهبذ ... حاز الفخار بحلبة الفرسان
وسما على أقرانه بفخاره ... فلك العلى والفخر ياقحطاني
فلقد حميت حمى الشريعة بعدما ... مدت اليه يد الخبيث الجاني
وضربت هام المعتدي بمهند ... عضب ، صقيل الشفرتين يماني
فتركته متجندلا في صحصح ، ... والحق يزهق كل ذي بطلان
ولقد حرصت على الورى،وهديتهم ... لمناهج الايمان والعرفان
فجزاك رب العرش خير جزائه ، ... وحباك في الفردوس بالولدان
وصلاة ربي والسلام مضاعف ... لمحمد ، والآل كل زمان

••••••••

عقيدة

العلّامة الشيخ أحمد بن ابراهيم الواسطي الشّافعي

المعروف بابن شيخ الحزاميين رحمه الله تعالى

ترجمــــة

هو الامام العالم الصالح أبو العباس أحمد بن ابراهيم الواسطي ابن شيخ الحزاميين(1)

ولد سنة ٦٥٧ بواسط وقرأ الفقه في بلده على مذهب الامام الشافعي ، ثم رحل الى بغداد والقاهرة ودمشق حيث استقر فيها ، وصحب شيخ الاسلام الامام ابن تيمية وصار الى مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وألف في الفقه والدعوة الى اقتفاء السنة والرد على المبتدعة • وكان رحمه الله عابداً زاهداً داعياً الى الله عز وجل،وأثنى عليه شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : هو جنيد وقته توفي في دمشق سنة ٧١١ ودفن فيها بسفح قاسيون •

---

(١) فى الأصل ابن شيخ الحرمين وهو خطا صوابه ما أثبتناه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كان ولا مكان ، ولا انس ولا جان ، ولا طائر ولا حيوان ، المتفرد بوحدانيته في قدم أزليته ، والدائم في فردانيته في قدس صمدانيته ، ليس له سمي ولا وزير ، ولا شبه له ولا نظير ، المقتدر بالخلق والتصوير ، المتصرف بالمشيئة والتقدير ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

له الرفعة والحمد والثناء ، والعلو والاستواء ، لا تحصره الأجسام ، ولا تصوره الأوهام ، ولا تقله الحوادث والأجرام ، ولا تحيط به العقول والأفهام .

له الاسماء الحسنى ، والشرف الأتم الأسنى ، والدوام الذي لا يبيد ولا يفنى .

نصفه بما وصف به نفسه ، من الصفات التي توجب عظمته وقدسه ، مما أنزله في كتابه ، وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه .

ونؤمن بأنه الله الذي لا اله هو الحي القيوم ، السميع البصير العليم ، القدير الرحمن الرحيم ، الملك القدوس العظيم ، لطيف خبير ، قريب مجيب ، متكلم شائي مريد ، فعال لما يريد ، يقبض ويبسط ، ويرضى ويغضب ، ويحب ويبغض ، ويكره ويضحك ، ويأمر وينهى ، ذو الوجه الكريم ، والسمع السميع ، والبصر البصير ، والكلام المبين ، واليدين والقبضتين ، والمقدرة والسلطان ، والعظمة والامتنان ، لم يزل كذلك ولا يزال ، استوى على عرشه ، فبان من خلقه ، لا يخفى عليه منهم خافية ، علمه بهم محيط ، وبصره بهم نافذ ، وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شيء من مخلوقاته ، ولا تمثل بشيء من جوارح مبتدعاته ، بل هي صفات لائقة بجلاله وعظمته ، لا تتخيل كيفيتها الظنون ، ولا تراها في الدنيا العيون ، بل نؤمن بحقائقها وثبوتها ، ونصف الرب سبحانه وتعالى بها ، وننفي عنها

تأويل المتأولين ، وتعطيل الجاحدين ، وتمثيل المشبهين ، تبارك الله أحسن الخالقين •

فبهذا الرب نؤمن ، واياه نعبد ، وله نصلي ونسجد ، فمن قصد بعبادته الى اله ليست له هذه الصفات ، فانما يعبد غير الله ، وليس معبوده ذلك باله ، فكفرانه لا غفرانه •

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، اصطفاه لرسالته ، واختاره لبريته ، وأنزل عليه كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أكرم آل وافضل عبيد •

وبعد فهذه نصيحة كتبتها الى اخواني في الله ، أهل الصدق والصفاء، والاخلاص والوفاء ، لما تعين علي محبتهم في الله ، ونصيحتهم في صفات الله ، فان المرء لا يكمل ايمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه • وفي الصحيحين : عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » •

وعن تميم الداري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ثلاثاً ، قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » •

وأعرفهم ــ أيدهم الله بتأييده ، ووفقهم لطاعته ومزيده ــ أنني كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل : (مسألة الصفات) ، (ومسألة الفوقية) ، (ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد) ، وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك ، من تأويل الصفات وتحريفها ، أو امرارها ، أو الوقوف فيها ، أو اثباتها بلا تأويل ، ولا تعطيل ، ولا تشبيه ، ولا تمثيل فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله ناطقة مبينة لحقائق هذه الصفات ، وكذلك في اثبات العلو

والفوقية ، وكذلك في الحرف والصوت .

ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم ، منهم من تأول الاستواء بالقهر والاستيلاء ، وتأول النزول بنزول الأمر ، وتأول اليدين بالنعمتين والقدرتين ، وتأول القدم بقدم صدق عند ربهم ، وأمثال ذلك .. ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله معنى قائماً بالذات ، بلا حرف ولا صوت ، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم .

وممن ذهب الى هذه الاقوال أو بعضها قوم لهم في صدري منزلة ، مثل بعض فقهاء الأشعرية الشافعيين لأني على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى عرفت فرائض ديني وأحكامه ، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الاجلة يذهبون الى مثل هذه الأقوال وهم شيوخي،ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم . ثم انني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي اليها ، وأجد الكدر والظلمة منها ، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها ، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره ، المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره ، وكنت أخاف من اطلاق القول بأثبات العلو ، والاستواء ، والنزول ، مخافة الحصر والتشبيه .

ومع ذلك فاذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله أجدها نصوصاً تشير الى حقائق هذه المعاني ، وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم فد صرح بها ، مخبراً عن ربه ، واصفاً له بها ، وأعلم بالاضطرار أنه صلى الله عليه وسلم كان يحضر في مجلسه الشريف العالم ، والجاهل، والذكي، والبليد، والأعرابي الجافي، تم لا أجد شيئا يعقب تلك النصوص، التي كان صلى الله عليه وسلم يصف بها ربه لانصاً ولا ظاهراً،مما يصرفها عن حقائقها ، ويؤولها كما تأولها هؤلاء ـ مشايخي الفقهاء المتكلمون ـ مثل تأويلهم الاستواء بالاستيلاء ، والنزول بنزول الأمر وغير ذلك.. ولم أجد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين وغيرهما ، مثل أن بنقل عنه

مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، مثل فوقية المرتبة ، ويد النعمة ، وغير ذلك • وأجد الله عز وجل يقول : (الرحمن على العرش استوى) (خلق السموات والأرض في ستة أيـام ثم استوى على العرش) في سبعة مواضع ، وقال الله تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم) ، وقال الله تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه) ، وقال الله تعالى : (بل رفعه الله اليه) ، وقال الله تعالى : (أأمنتم من في السـمـاء أن يخسف بـكم الأرض فاذا هي تمور ، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) ، وقال الله تعالى : (قل نزله روح القدس من ربك) ، وقال الله عن فرعون : (قال : ياهمان ؟ ابن لي صرحا ، لعلي أبلـغ الأسباب ، أسباب السموات ، فاطلـع الى الـه موسى ، واني لأظنه كاذباً) ، وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ، ولهذا قال : (واني لاظنه كاذبا) ، وقـال : (الله ذي المعارج ، تعرج الملائكـة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) •

ثم أجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما أراد الله أن يخصه بقربـه عرج به من سماء الى سماء ، حتى كان قاب قوسين أو أدنى •

ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ، للجارية : « أين الله ؟ فقالت في السماء » فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كي لا يتوهموا أن الأمر خلاف ما هو عليه ، بل أقرها ، وقال أعتقها ، فانها مؤمنة،وعن معاوية بن الحكم السلمي ، قال قلت يارسول الله ؟ أفلا أعتقها ؟ قال : « ادعها » فدعوناها ، فقال لها : « أين الله ؟ » ، قالت في السماء ، قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله ، قال : « أعتقها ، فانهـا مؤمنـة » • رواه مسلم ، ومالك في موطنه •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » أخرجه الترمذي ، وقال : حسن صحيح •

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه ، قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : « من اشتكى منكم بأساً ، أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذي في السماء ، تقدس اسمك ، أمرك في السماء والارض ، كما رحمتك في السماء والأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع ، فيبرأ » أخرجه أبو داود .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : « بعث علي من اليمن بذهيبة في أديم مقروص لم تحصل في ترابها ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة : زيد الخير ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، وعلقمة بن علاثة ، أو عامر بن الطفيل ، شك عمارة ، فوجد من ذلك بعض الصحابة من الأنصار وغيرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء مساء وصباحاً » . أخرجه البخاري ، ومسلم .

وعن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن حصين ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن الميت تحضره الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة ، كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها ، فيقال من هذا ؟ فيقول : فلان ، فيقولون مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، أدخلي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير عضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله عز وجل » الحديث .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتابى عليه ،

الا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها » أخرجه البخاري ، ومسلم •

وعن أبي داود ، ثنا محمد بن الصباح ، ثنا الوليد بن أبي ثور ، عن سماك ، عن عبد الله بن عميرة ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس ابن عبد المطلب ، قال : «كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة ، فنظر اليها فقال : ماتسمون هذه ؟قالوا السحاب ، قال : والمزن ، قالوا : والمزن ، قال : والعنان ، قالوا : والعنان ، قال : هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض ؟ قالوا لا ندري ، قال ان مابعد بينهما اما واحدة، واما اثنتان ، واما ثلاثة وسبعون سنة ، ثم السماء فوق ذلك ، حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين السماء الى السماء ، ثم على ظهورهم العرش أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء ثم الله عز وجل فوق ذلك •

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق : ان رحمتي سبقت غضبي ، وهو عنده فوق العرش » أخرجه البخاري •

وعن محمد بن اسحق عن معبد بن كعب بن مالك ، أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد حكمت حكما حكم الله به من فوق ، سبعة أرقعة »

وحديث المعراج : عن أنس بن مالك ، ان مالك بن صعصعة حدثه : « أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به ، وساق الحديث الى أن قال : فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة ، فرجعت ، فمررت على موسى ، فقال بم أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال : ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ، واني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف

لأمتك ، قال : فرجعت ، فوضع عني عشرا ، فرجعت الى موسى فقال مثـل ذلك ، فرجعت الى ربي فوضع عني عشرا خمس مرات في كلها ، يقول : رجعت الى موسى ، ثم رجعت الى ربي » . أخرجه البخاري ، ومسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم ، وهو بهم أعلم ، كيف تركتم عبادي ؟ » الحديث ، متفق عليه .

وعن ابن عمر ، قال : « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسـلم دخل عليه أبو بكر ، فأكب عليه ، وقبل وجهه وقال : بأبي أنت وأمي ، طبت حيا وميتا ، وقال : من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله في السماء حي لا يموت » . رواه البخاري

وعن محمد بن فضل عن فضيل بن غزوان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : « كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : ان الله زوجني من السماء ، وفي لفظ : زوجكن أهلوكن وزوجني الله من فوق سبع سموات » .أخرجه البخاري .

وفي حديث جبير ابن مطعم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله فوق عرشه ، فوق سمواته ، وسمواته فوق أرضه مثل القبة ، واشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده مثل القبة » .

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يرحم من في الأرض لم يرحمه من في السماء » .

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الأ صلى الله عليه وسلم لما اسري به مرت به رائحة طيبة ، فقال : « يا جبرئيل ، ما هذه الرائحة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وكانت تمشطها فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله ، فقالت ابنته : أبي ؟ فقالت : لا بل رب أبيك . فأخبرت أباها ، فدعى بها ، فقال ألك رب غيري ؟ قالت : ربي وربك الله الـذي في

السماء . وأمر بنقرة نحاس فأحميت ثم دعا بها وبولدها فالقاهما فيها » . الحديث رواه الدرامي وغيره .

وروى الدارمي ، وغيره باسناده الى أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما ألقي ابراهيم في النار ، قال : اللهم ، انك في السماء واحد ، وأنا في الأرض واحد أعبدك ».

واما الآثار عن الصحابة في ذلك فكثيرة ، منها :

قول عمر رضي الله عنه ، عن خولة لما استوقفته فوقف لها ، فسئل عنها ، فقال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات .

وعبد الله بن رواحة لما وقع على جارية له ، فقالت امرأته : فعلتها !! قال : أما أنا فأقرأ القرآن ، فقالت : أما أنت فلا تقرأ القرآن وأنت جنب ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوف العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام ملائكة الاله مسومينا

وابن عباس لما دخل على عائشة رضي الله عنها ، وهي في النزع ، فقال : كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكن يحب الا طيباً ـ وانزل الله براءتك من فوق سبع سموات.

وكذلك نجد أكابر العلماء كعبد الله بن المبارك رضي الله عنه ، صرح بمثل ذلك :

روى عثمان بن سعيد الدارمي ، قال : حدثنا الحسن بن الصباح ، قال : ثنا علي بن الحسن بن شقيق ، عن ابن المبارك ، قيل له : كيف نعرف ربنا ، قال : بأنه فوق السماء على العرش بائن من خلقه .

فصل

فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال ، حتى لطف الله بي ، وكشف لهذا الضعيف عن وجه الحق كشفاً اطمئن اليه خاطره ، وسكن به سره ، وتبرهن الحق في نوره ، وها أنا واصف بعض ذلك ان شاء الله تعالى .

والـــذي شـرح الله صدري لـه في حـكم هـذه الثلاث المسائل :

الأولى : مسألــة (العلو ، والفوقية ، والاستواء)

وهو:ان الله عز وجل كان ولا مكان،ولا عرش،ولا ماء،ولا فضاء،ولا هواء ، ولا خلاء ، ولا ملاء . وانه كان منفرداً في قدمه وأزليته ، متوحـداً في فردانيته ، سبحانه وتعالى في تلك الفردانية ، لا يوصف بأنه فوق كذا اذ لا شيء غيره ، هو سابق التحت والفوق الذين هما جهتا العالم ، وهما لازمان له ، والرب تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدوث .

فلما اقتضت الارادة المقدسة بخلق الاكوان المحدثة المخلوقة المحدودة ذوات الجهات،اقتضت الارادة أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل. وهو سبحانه منزه عن صفات الحدوث ، فكون الأكوان وجعل لها جهتي العلو والسفل .

واقتضت الحكمة الالهية أن يكون الكون في جهة التحت ، لكونه مربوباً مخلوقا ، واقتضت العظمة الربانية أن يكون هو فوق الكون ، باعتبار الكون المحدث لا باعتبار فردانيته ، اذلا فوق فيها ولا تحت ، والرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وأزليته وفردانيته لم يحدث له في ذاته ولا في صفاته ما لم يكن في قدمه وأزليته ، فهو الآن كما كان .

لكن لما أحدث المربوب المخلوق ذا الجهات ، والحدود ، والخلاء ، والملاء ، والفوقية ، والتحتية ، كان مقتضى حكم العظمة للربوبية أن يكون فوق ملكه ، وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون ، لا باعتبار القدم من المكون ، فاذا أشير اليه بشيء يستحيل أن يشار اليه من الجهة التحتية ، أو من جهة اليمنة أو اليسرة ، بل لا يليق أن يشار اليه الا من جهة العلو،والفوقية،ثم الاشارة هي بحسب الكون ، وحدوثه ، وأسفله . فالاشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة ، وتقع على عظمة الرب تعالى كما يليق به ، لا كما يقع على الحقيقة المعقولة عندنا في أعلى جزء من الكون ، فانها اشارة الى جسم ، وتلك اشارة الى اثبات .

اذا علم ذلك فالاستواء صفة له كانت في قدمه ، لكن لم يظهر حكمها الا عند خلق العرش،كما أن الحساب صفة قديمة له لا يظهر حكمها الا في الآخرة . وكذلك التجلي في الآخرة لا يظهر حكمه الا في محله .

فاذا علم ذلك:فالأمر الذي يهرب المتأولون منه ، حيث أولوا الفوقية بفوقية المرتبة ، والاستواء بالاستيلاء ، فنحن أشد الناس هربا من ذلك ، وتنزيها للباري سبحانه وتعالى عن الحد الذي يحصره ، فلا يحد بحد يحصره ، بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته . والاشارة الى الجهة انما هو بحسب الكون وأسفله ، اذ لا يمكن الاشارة اليه الا هكذا .

وهو في قدمه سبحانه منزه عن صفات الحدوث ، وليس في القدم فوقية ولا تحتية ، وان من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة بارئه الا من فوقه ، فتقع الاشارة الى العرش حقيقة اشارة معقولة ، وتنتهي الجهات عند العرش ، ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل ، ولا يكيفه الوهم ، فتقع الاشارة عليه كما يليق به مجملا مثبتاً ، لا مكيفاً ولا ممثلا .

وجـه آخـر من البيان : هو أن الرب سبحانه ثابت الوجود ، ثابت الذات،له ذات مقدسة متميزة عن مخلوقاته ، يتجلى يوم القيامة للأبصار ، ويحاسب العالم فلا يجهل ثبوت ذاته وتمييزها عن مخلوقاته ، فاذا ثبت ذلك، فقد أوجد الأكوان في محل وحيز ، وهو سبحانه في قدمه منزه عن المحل والحيز ، فيستحيل شرعا وعقلا عند حدوث العالم أن يحل فيه ، أو يختلط به ، لأن القديم لا يحل في الحادث ، وليس هو محلا للحوادث ، فلزم أن يكون بائناً عنه ، واذا كان بائناً عنه ، فيستحيل أن يكون العالم في جهـــة الفوق ، وأن يكون الرب سبحانه في جهة التحت ، هذا محال شرعاً وعقلا ، فيلزم أن يكون فوقه بالفوقية اللائقة به الذي لا تكيف ، ولا تمثل ، بل يعلم من حيث الجملة والثبوت ، لا من حيث التمثيل والتكييف .

وقد سبق الكلام في أن الاشارة الى الجهة انما هو باعتبارنا ، لأنا في محل وحيز وحد ، والقدم لا فوق فيه ولا جهة . ولابد من معرفة الموجد ، وقد ثبت بينونته عن مخلوقاته ، واستحالة علوها عليه ، فلا يمكن معرفتـه والاشارة بالدعاء اليه الا من جهة الفوق ، لأنها أنسب الجهات اليه ، وهو غير محصور فيها بل هو كما كان في أزليته وقدمه ، فاذا أراد المحدث أن يشير الى القديم فلا يمكنه ذلك الا بالاشارة الى الجهة الفوقية ، لأن المشير في محل له فوق وتحت ، والمشار اليه قديم باعتبار قدمه،لا فوق هناك ولا تحت ، وباعتبار حدوثنا وتسلفنا هو فوقنا . فاذا أشرنا اليه تقع الاشارة عليه كما يليق به ، لا كما نتوهمه في الفوقية المنسوبة الى الأجسام ، لكنا نعلمها من جهة الاجمال والثبوت لا جهة التمثيل ، والله الموفق للصواب .

ومن عرف هيئة العالم ، ومراكزه من علم الهيئة ، وأنه ليس له الا جهتا العلـو والسفل ، ثـم اعتقد بينونية خالقـــه عـن العالم ، فمن لوازم البينونة أن يكون فوقه ، لأن جميع جهات العالم فوق ، وليس الا المراكز وهو الوسط .

فصـــل

اذا علمنا ذلك واعتقدناه ، تخلصنا من شبه التأويل ، عماوة التعطيل ، وحماقة التشبيه والتمثيل ، وأثبتنا علو ربنا ، وفوقيته،واستواءه على عرشه، كما يليق بجلاله وعظمته ، والحق واضح في ذلك ، والصدر ينشرح له • فـان التحريف تأباه العقول الصحيحة ، مثـل تأويـل الاستواء بالاستيلاء وغيره ، والوقوف في ذلك جهل وعي،مع أن الرب سبحانه وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها ، فوقوفنا عن اثباتها ونفيها ، عدول عن المقصـود منه في تعريفنا اياه،فما وصف لنا نفسه بها الا لنثبت ما وصف به نفسه،ولا نقف في ذلك • وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة ، فمن وفقه الله للاثبات بلا تحريف ، ولا تكييف ، ولا وقوف ، فقد وقع على الأمر المطلوب منه ان شاء الله تعالى •

فصـــل

والذي شرح الله به صدري ، في حال هؤلاء الشيوخ ، الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء ، والنزول بنزول الأمر،واليدين بالنعمتين والقدرتين،هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب الا ما يليق بالمخلوقين،فمافهموا عن الله استواء يليق به ، ولا نزولا يليق به ، ولا يدين تليق بعظمتـــه بلا تكيف ولا تشبيه ، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه ، وعطلوا ما وصف الله به نفسه •

ونذكر بيان ذلك ان شاء الله تعالى فنقول : لا ريب انا نحن واياهـم متفقون على اثبات صفات الحياة ، والسمع ، والبصر ، والعلم ، والقـدرة ، والارادة ، والكلام لله تعالى • ونحن قطعاً لانعقل من الحياة الا هذا العرض الذي يقوم باجسامنا • وكذلك لا نعقل من السمع والبصر الا أعراضـــا

تقوم بجوارحنا . فكما أنهم يقولون : حياته ليست بعرض ، وعلمه كذلك، وبصره كذلك ، هي صفات كما يليق به ، لا كما يليق بنا ، فكذلك نقول نحن : حياته معلومة وليست مكيفة ، وعلمه معلوم وليس مكيفاً ، وكذلك سمعه وبصره معلومان ، وليس جميع ذلك أعراضاً ، بل هو كما يليق به .
ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله . ففوقيته معلومة ـ أعني ثابتة كثبوت حقيقة السمع ، وحقيقة البصر ، فانهما معلومان ، ولا يكيفان ـ كذلك ففوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به ، واستواؤه على عرشه معلوم ثابت كثبوت السمع والبصر ، غير مكيف ، وكذلك نزوله ثابت معلوم ، غير مكيف بحركة وانتقال يليق بالمخلوق ، بل كما يليق بعظمته وجلاله.

وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت ، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد،فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه أعمى من وجه،مبصراً من حيث الاثبات والوجود ، أعمى من حيث التكييف والتحديد . وبهذا يحصل الجمع بين الاثبات لما وصف الله به نفسه وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف ، وذلك هو مراد الله تعالى منا في ابراز صفاته لنا لنعرفه بها ، ونؤمن بحقائقها ، وننفي عنها التشبيه ، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لافرق بين الاستواء والسمع ، ولا بين النزول والبصر ، لأن الكل ورد في النص .

فان قالوا لنا : في الاستواء شبهتم .

نقول لهم : في السمع شبهتم ، ووصفتم ربكم بالعرض !!

وان قالوا : لاعرض ، بل كما يليق به .

قلنا : في الاستواء والفوقية لاحصر ، بل كما يليق به .

فجميع ما يلزموننا في الاستواء ، والنزول ، واليد ، والوجه ، والقدم ، والضحك ، والتعجب ، من التشبيه نلزمهم به في الحياة ، والسمع،والبصر، والعلم . فكما لا يجعلونها أعراضاً ، كذلك نحن لا نجعلها جوارح ، ولا مما يوصف به المخلوق !!

وليس من الانصاف أن يفهموا في الاستواء ، والنزول ، والوجـه ، واليد ، صفات المخلوقين ، فيحتاجون الى التأويل والتحريف • فان فهموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع ، صفات المخلوقين من الاعراض !!

فما يلزمونا في تلك الصفات ، من التشبيه ، والجسمية ، نلزمهم في هذه الصفات من العرضية • وما ينزهون ربهم به في الصفـات السـبع ، وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها ، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات ، التي ينسبونا فيها الى التشبيه سواء بسواء •

ومن أنصف عرف ما قلناه واعتقده ، وقبل نصيحتنا ، ودان الله باثبات جميع صفاته هذه وتلك ، ونفى عن جميعها التعطيل ، والتشبيه ، والتأويل ، والوقوف ، وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك • لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد ، وهو الكتاب والسنة : فاذا أثبتنا تلك بلا تأويل ، وحرفنا هذه ، وأولناها ، كان كمن آمن ببعض الكتاب ، وكفر ببعض ، وفي هـذا بلاغ وكفاية •

فصـــل

واذا ظهر هذا التأويل وبان ، انحلت الثلاث المسائل بأسرها وهي :

مسالة الصفات من النزول والوجه واليد وأمثالها •

ومسالة العلو والاستواء •

ومسالة الحرف والصوت •

أما مسألة العلو فقد مر ما فتحه الله تعالى •

أما مسألة الصفات فتساق مساق مسألة العلو ، ولا يفهم منها ما يفهم من صفات المخلوقين ، بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته ، فينزل كما يليق بجلاله وعظمته • ويداه كما يليق بجلاله وعظمته • ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته ، وكيف ينكر الوجه الكريم ويحرف؟!

وقد قال سبحانه وتعالى : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » . وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه : « تسألك لذة النظر الى وجهك » .

وإذا ثبتت صفة الوجه بهذا الحديث ، وبغيره من الآيات والنصوص ، فكذلك صفة اليدين ، والضحك ، والتعجب . ولا يفهم من جميع ذلك الا ما يليق بالله عز وجل وبعظمته ، لا ما يليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

وإذا ثبت هذا الحكم في الوجه ، فكذلك في اليدين ، والقبضتين ، والقدم ، والضحك ، والتعجب ، كل ذلك كما يليق بجلال الله وعظمته ، فيحصل بذلك اثبات ما وصف الله به نفسه في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ويحصل أيضا نفي التشبيه والتكييف في صفاته ، ويحصل أيضاً ترك التأويل والتحريف المؤدي الى التعطيل . ويحصل بذلك أيضا عدم الوقوف باثبات الصفات وحقائقها على ما يليق بجلال الله وعظمته ، لا على ما نعقل نحن من صفات المخلوقين .

وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق .

فان الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد بجميع حروفه ، فقال تعالى : « المص » ، وقال : « ق ، والقرآن المجيد » .

وكذلك جاء الحديث : « فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب » . وفي الحديث : « لا أقول : « ألم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

فهؤلاء ما فهموا من كلام الله الا ما فهموه من كلام المخلوقين ، فقالوا : اذا قلنا بالحرف فان ذلك يؤدي الى القول بالجوارح واللهوات . وكذلك اذا قلنا بالصوت أدى ذلك الى الحلق والحنجرة . فعملوا بهذا من التخبيط كما عملوا فيما تقدم من الصفات .

والتحقيق هو : ان الله تعالى تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته ، فانه قادر ، والقادر لا يحتاج الى جوارح ولا الى لهوات . وكذلك له صوت

يليق به يسمع ، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس الى الحلق والحنجرة . فكلام الله كما يليق به ، وصوته كما يليق به . ولا تنفي الحرف والصوت عنْ كلامه سبحانه لافتقارهما منا الى الجوارح واللهوات ، فانهما في جناب الحق لا يفتقران الى ذلك . وهذا ينشرح الصدر له ، ويستريح الانسان به من التعسف والتكلف ، بقوله : هذا عبارة عن ذلك .

فان قيل : هذا الذي يقرأه القارىء هو عين قراءة الله وعين تكلمه هو ؟

قلنا : لا ، بل القارىء يؤدي كلام الله ، والكلام انما ينسب الى من قاله مبتدئاً ، لا الى من قاله مؤدياً مبلغاً . ولفظ القارىء في غير القرآن مخلوق. وفي القرآن لا يتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدي عنه ، ولهذا منع السلف عن قول : لفظي بالقرآن مخلوق ، لأنه لا يتميز ، كما منعوا عن قول : لفظي بالقرآن غير مخلوق . فان لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق ، وفي التلاوة مسكوت عنه ، كيلا يؤدي الكلام في ذلك الى القول بخلق القرآن . وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه . والله الموفق والمعين .

فصل

العبد اذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء ، عال على عرشه بلا حصر ، ولا كيفية ، وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه ، كان لقلبه قبلة في صلاته، وتوجهه ، ودعائه . ومن لا يعرف ربه بأنه فوق السماء على عرشه فانه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهة معبوده ، لكن ربما عرفه بسمعه ، وبصره ، وقدمه ، وتلك بلا هذا معرفة ناقصة ، بخلاف من عرف أن الهه الذي يعبده فوق الأشياء ، فاذا دخل في الصلاة وكبر توجه قلبه الى جهة العرش ، منزهاً له تعالى ، مفرداً له كما أفرده في قدمه وأزليته ، عالماً أن هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا ، ولا يمكننا الاشارة الى ربنا في قدمه وأزليته الا بها ، لأنا محدثون،والمحدث لا بد له في اشارته الى جهة ، فتقع تلك الاشارة الى ربه

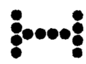
كما يليق بعظمته ، لا كما يتوهمه هو من نفسه .

ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه ، وهو معهم بعلمه ، وبسمعه ، وبصره ، واحاطته ، وقدرته ، ومشيئته ، وذاته ، فوق الاشياء، فوق العرش. ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أشرق قلبه ، واستنار ، وأضاء بأنوار المعرفة والايمان ، وعكفت أشعة العظمة على قلبه ، وروحه ، ونفسه ، فانشرح لذلك صدره ، وقوي ايمانه ، ونزه ربه عن صفات خلقه ، من الحصر والحلول ، وذاق حينئذ شيئاً من أذواق السابقين المقربين ، بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده ، وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه ، فانها قالت: « في السماء » عرفته بأنه في السماء لما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياجارية أين الله ؟ قالت : في السماء» وأقرها على ذلك . فان (في) تأتي بمعنى (على) كقوله : (يتيهون في الأرض) أي على الأرض ، وكقوله : (لأصلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل . فمن تكن الجارية أعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهة معبوده ، فانه لا يزال مظلم القلب ، لا يستنير بأنواع المعرفة والايمان . ومن أنكر هذا القول ، فليؤمن به ، وليجرب ، ولينظر الى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصراً من وجه ، أعمى من وجه كما سبق؛ مبصراً مـن جهة الاثبات والوجود والتحقيق ، أعمى مـن جهة الحصر ، والتحديد ، والتـكييف . فانه اذا علم ذلك وجد ثمرته ان شاء الله تعالى ، ووجد بركته ونوره عاجـلا وآجـلا ، ولا ينبئك مثل خبير ، والله الموفق والمعـين .

وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية كقوله : « يخافون ربهم من فوقهم » ، « اليه يصعد الكلم الطيب » ، « وهو القاهر فوق عباده » . لأن فوقيته سبحانه وتعالى وعلوه على كـل شيء ذاتي له ، فهو العلي بالذات ، والعلو صفته اللائقة به ، كما أن السفول والانحطاط ذاتي للأكوان عـن رتبة ربوبيته ، وعظمته ، وعلوه . والعلو والسفل حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه . وهو سبحانه علي بالذات ، كما كان قبل خلق الأكوان ،

وما سواه متسفل بالذات • وهو سبحانه العلي على عرشه يدبر الأمر من السماء الى الارض ، ثم يعرج اليه : فيحيي هذا ، ويميت هذا ، ويمرض هـذا ، ويشفي هـذا ، ويعز هـذا ، ويذل هذا ، وهو الحي القيوم القائم بنفسه ، وكل شيء قائم به •

فرحم الله عبداً وصلت اليه هـذه الرسالة ولـم يعالجها بالانـكار ، وافتقر الى ربه في كشف الحق آناء الليل وأطراف النهار ، وتأمل النصوص في الصفات ، وفكر بعقله في نزولها وفي المعنى الذي نزلت له ، وما الذي أريد بعلمها من المخلوقات • ومـن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد الا معرفة الرب بها ، والتوجه اليه منها ، واثباته لـه بحقائقها وأعيانها كمـا يليق بجلاله وعظمته ، بلا تأويل ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا جمود ولا وقوف ، وفي ذلك بلاغ لمن اعتبر ، وكفاية لمن استبصر



القصيدة الميميّة

للإمام العلّامة ابن قيّم الجوزية

ترجمة

الامام ابن القيم

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ـ المعروف بابن قيم الجوزية

أحد الأئمة الاعلام ، كان اماما في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والاصول ، والعربية ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر . لازم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وامتحن معه ، وأوذي مرات من علماء السوء وحكام الظلم ، وحبس منفرداً عن شيخه .

شهد له علماء زمانه بالتقوى والورع وكثرة العبادة ، وتشهد له مصنفاته بطول الباع في كل ما بحثه من علوم . وقد قاربت مؤلفاته المائة مجلد .

ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥٢ ودفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق . وقبره معروف حتى الآن ـ عليه رحمة الله ورضوانه

وهـذه ميمية الفاضـل الجهبذ ، الامـام العلامـة ، فخـر المسلمين

محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،

أسكنه الله فسيح جنانه ، وصب على ثراه صبب عفوه وغفرانه
قال عليه الرحمة :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اذا طلعت شـمس النهـار فانهـا أمارة تسليمي عليـكم فسلموا
سـلام من الرحمن في كـل ساعة وروح وريحـان ، وفضل وأنعم
على الصحب والاخوان والولد والأولى رعوهم باحسان فجادوا وأنعموا
وسائر مـن للسنة المحضـة اقتفى ومـا زاغ عنهـا فهو حق مقـدم
أولئـك أتبـاع النبي وحزبـه ولولاهم ما كـان في الأرض مسلم
ولولاهـم كـادت تميـد بـأهلها ولـكن رواسيها وأوتادهـا هـم
ولولاهم كـانت ظلامـا بأهلها ولـكن هم فيها بدور وأنجم
اولئـك أصحابي فحي هلا بهـم وحي هـلا بالطيبين وانعـم
لـكل امرىء منهـم سـلام يخصه يبلغه الأدنى اليـه وينعـم
فيامحسناً ؛ بلغ سلامي ، وقل لهم: محبكم يدعو لـكم ، ويسلم
ويالائمـي في حبهـم وولائهـم تأمل ، هـداك الله ، من هو ألوم
بأي دليـل أم بأية حجـة ترى حبهم عـاراً علي ، وتنقـم
ومـا العـار الا بغضهم واجتنابهم وحب عـداهم ذاك عـار ومأثـم
أما والـذي شـق القلوب ، وأودع المحبـة فيهـا حيث لا تتصـرم
وحملهـا قلب المحب ، وانـه ليضعف عن حمل القميص ، ويألم
وذللهـا حتى اسـتكـانت لصولـة المحبـة ، لا تلوي ، ولا تتلعثـم
وذلـل فيهـا أنفسـاً دون ذلهـا حياض المنايا فوقهـا ، وهي حوم
لأنتم على قـرب الديـار وبعدهـا أحبتنـا ، ان غبتـم أو حضـرتـم

سلوا نسمات الريح كم قد تحملت محبة صب شوقه ليس يكتم !!
وشاهد هذا أنها في هبوبها تكاد تبث الوجد لو تتكلم
وكنت اذا ما اشتد بي الشوق والجوى وكادت عرى الصبر الجميل تفصم
أعلل نفسي بالتلاقي وقربه وأوهمها ، لكنها تتوهم
وأتبع طرفي وجهة انتم بها فلي بحماها مربع ومخيم
وأذكر بيتاً قاله بعض من خلا وقد ضل عنه صبره فهو مغرم
أسائل عنكم كل غاد ورائح وأومي الى أوطانكم وأسلم
وكم يصبر المشتاق عمن يحبه وفي قلبه نار الأسى تضرم

* * *

أما والذي حج المحبون بيته ولبوا له عند المهل ، وأحرموا
وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعاً لعزة من تعنو الوجوه وتسلم
يهلون بالبيداء : لبيك ربنا لك الملك والحمد الذي أنت تعلم
دعاهم فلبوه رضى ومحبة فلما دعوه كان أقرب منهم
تراهم على الأنضاء شعثاً رؤوسهم وغبراً ، وهم فيها أسر وأنعم
وقد فارقوا الأوطان والأهل رغبة ولم يثنهم لذاتهم والتنعم
يسيرون من أقطارها وفجاجها رجالا وركباناً ، ولله أسلموا
ولما رأت أبصارهم بيته الذي قلوب الورى شوقاً اليه تضرم
كأنهم لم ينصبوا قط قبله لأن شقاهم قد ترحل عنهم
فلله كم من عبرة مهراقة وأخرى على آثارها لا تقدم !!(١)
وقد شرقت عين المحب بدمعها فينظر من بين الدموع ، ويسجم
اذا عاينته العين زال ظلامها وزال عن القلب الكئيب التألم
ولا يعرف الطرف المعاين حسنه الى أن يعود الطرف ، والشوق أعظم
ولا عجب من ذا فحين أضافه الى نفسه الرحمن ، فهو المعظم

---

(١) الأصل لا تتقدم ، وخففت للوزن

كساه من الاجلال أعظم حلة ... عليها طراز بالملاحة معلم
فمن أجل ذا كل القلوب تحبه ... وتخضع اجلالا له ، وتعظم
وراحوا الى التعريف(١) يرجون رحمة ... ومغفرة ممن يجود ويكرم
فلله ذاك الموقف الأعظم الذي ... كموقف يوم العرض بل ذاك أعظم
ويدنو به الجبار جل جلاله ... يباهي بهم أملاكه ، فهو أكرم
يقول : عبادي قد أتوني محبة ... واني بهم بر أجود ، وأرحم
فأشهدكم أني غفرت ذنوبهم ... وأعطيتهم ما أملوه وأنعم
فبشراكم ياأهل ذا الموقف الذي ... به يغفر الله الذنوب ، ويرحم
فكم من عتيق فيه كمل عتقه ... وآخر يستسعي ، وربك أرحم
وما رؤي الشيطان أغيظ في الورى ... وأحقر منه عندها ، وهو ألأم
وذاك لأمر قد رآه فغاظه ... فاقبل يحثو الترب غيظاً ، ويلطم
وما عاينت عيناه من رحمة أتت ... ومغفرة من عد ذي العرش تقسم
بنى ما بنى ، حتى اذا ظن أنه ... تمكن من بنيانه ، فهو محكم
أتى الله بنياناً له من أساسه ... فخر عليه ساقطاً يتهدم
وكم قدر ما يعلو البناء وينتهي ... اذا كان يبنيه ، وذو العرش يهدم!!
وراحوا الى جمع ، فباتوا بمشعر الحرام(٢) ، وصلوا الفجر ، ثم تقدموا
الى الجمرة الكبرى يريدون رميها ... لوقت صلاة العيد ، ثم تيمموا
منازلهم للنحر يبغون فضله ... واحياء نسك من أبيهم يعظم
فلو كان يرضي الله نحر نفوسهم ... لدانوا به طوعاً ، وللأمر سلموا
كما بذلوا عند الجهاد نحورهم ... لأعدائه حتى جرى منهم الدم
ولكنهم دانوا بوضع رؤوسهم ... وذلك ذل للعبيد وميسم
ولما تقضوا ذلك التفث الذي ... عليهم ، وأوفوا نذرهم ، ثم تمموا
دعاهم الى البيت العتيق زيارة ... فيا مرحباً بالزائرين ، وأكرم

---

(٢) عرف القوم اذا صعدوا عرفات

(٢) هو مزدلفة

فلله مـــا أبهى زيارتهم لــــه !!   وقــد حصلت تلك الجوائز تقسم
ولله أفضال هنـــاك ونعمــــة ،   وبر واحسان ، وجود ومرحـــم
وعادوا الى تلـك المنازل مـن منى   ونـالوا مناهـم عندهـا ، وتنعمـوا
أقاموا بهـــا يوماً ويوماً وثالثـــاً   وأذن فيهـم بالرحيل وأعلموا
وراحوا الى رمي الجمـــار عشية   شعارهم التـــكبير والله معهـم
فلو أبصرت عيناك موقفهـم بهـــا   وقـد بسطوا تلك الأكف ليرحموا
ينادونـــه : يارب ؟ يارب ؟ اننـا   عبيدكَ ، لا ندعـوا سواك ، وتعلم
وها نحن نرجوا منك ما أنت أهله   فأنت الـذي تعطي الجزيل وتنعم
ولمـا تقضوا من منى كل حاجـــة   وسالت بهم تلك البطاح تقـــدموا
الى الـكعبة البيت الحـرام عشيـة   وطافوا بها سبعاً ، وصلوا، وسلموا
ولمـا دنى التوديـع منهـم وأيقنوا   بـــأن التـداني حبله متصرم
ولـم يبق الا وقفـة لمـودع   فلله أجفـــان هناك تسجم !!
ولله أكبـــاد هنالـك أودع   الغرام بهـــا !! فالنار فيهـا تضرم
ولله أنفاس يـكاد بحرهـا   يذوب المحب المستهام المتيـــم
فلـم تـر الا باهتـاً متحيراً   وآخر يبدي شجوه يترنـــم
رحلت ، وأشـواقي اليـكم مقيمة   ونـــار الأسـى مني تشب وتضرم
أودعـكم ، والشـوق يثني أعنتي   وقلبي أمسى في حماكـــم مخيـم
هنـاك لا تثريب يوماً عـلى امرىء   اذا ما بدا منه الذي كـــان يـكتم
فياسائقين العيس ؟ بـالله ربـــكم   قفوا لي على تلك الربوع ،وسلموا
وقولوا محب قادة الشوق نحوكـم   قضى نحبه فيـكم تعيشوا وتسلموا
قضى الله رب العرش فيما قضى به   بأن الهوى يعمي القلوب ويبكـم
وحبـكم أصل الهـدى ، ومداره   عليـه ، وفوز للمحب ، ومغنـــم
وتفنى عظـــام الصب بعد مماتـــه   وأشواقـه وقف عليـــه محـــرم
فياأيها القلب الـذي ملك الهـوى   أزمنــــه ، حتى متى ذا التلـوم ؟!
وحتام لا تصحو؟! وقد قرب المدى   ودنت كؤوس السير ، والناس نوم

بلى ؛ سوف تصحو حين ينكشف الغطا ... ويبدو ذلك الأمر الذي أنت تكتم

ويا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ... وحر لظاها بين جنبيك يضرم

أهذا جنى العلم الذي قد غرسته؟! ... وهذا الذي قد كنت ترجوه يطعم؟!

وهذا هو الحظ الذي قد رضيته ... لنفسك في الدارين : جاه ودرهم ؟!

وهذا هو الربح الذي قد كسبته؟! ... لعمرك لاربح، ولا الأصل يسلم!!

بخلت بشيء لا يضرك بذله ... وجدت بشيء مثله لا يقوم

بخلت بهذا الحظ الخسيس دناءة ... وجدت بدار الخلد لو كنت تفهم

وبعت نعيماً لا انقضاء له ولا ... نظير ببخس عن قليل سيعدم

فهلا عكست الأمر ان كنت حازماً ... ولكن أضعت الحزم لو كنت تعلم

وتهدم ما تبني بكفك جاهداً ... فأنت مدى الأيام تبني وتهدم

وعند مراد الله تفنى كميت ... وعند مراد النفس تسدي وتلحم

وعند خلاف الأمر تحتج بالقضا ... ظهيراً على الرحمن ، للجبر تزعم

تنزه منك النفس عن سوء فعلها ... وتعتب أقدار الاله وتظلم

تحل اموراً أحكم الشرع عقدها ... وتقصد ما قد حله الشرع تبرم

وتفهم من قول الرسول خلاف ما ... أراد لأن القلب منك معجم

مطيع لداعي الغي عاص لرشده ... الى ربه يوماً يرد ويعلم

مضيع لأمر الله قد غش نفسه ... مهين لها أنى يحب ويكرم

بطيء عن الطاعات أسرع للخنا ... من السيل في مجراه لا يتقسم

وتزعم مع هذا بأنك عارف ... كذبت يقيناً في الذي أنت تزعم

وما أنت الا جاهل ثم ظالم ... وانك بين الجاهلين مقدم

اذا كان هذا نصح عبد لنفسه ... فمن ذا الذي منه الهدى يتعلم ؟!

وفي مثل هذا الحال قد قال من مضى ... وأحسن فيما قاله المتكلم

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة ... وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

ولو تبصر الدنيا وراء ستورها ... رأيت خيالا في منام سيصرم

كحلم بطيف زار في النوم وانقضى ... المنام ، وراح الطيف، والصب مغرم

وظل أرتـه الشمس عنـد طلوعها سيقلص في وقت الزوال ، ويفصم
ومزنة صيف طـاب منهـا مقيلهـا فولت سـريعاً ، والحرور تضـرم
ومطعـم ضيف لـذ منه مساغـه وبعـد قليـل حالـه تلك تعلم
كـذا هذه الدنيـا كأحلام نائم ومـن بعدهـا دار البقـاء ستقدم
فجزها ممراً لا مقراً وكـن بهـا غريباً تعش فيها حميداً ، وتسلـم
أو ابن سبيل قال(١) في ظل دوحة وراح ، وخلى ظلهـا يتقسـم
أخـا سـفر لا يستقـر قـراره الى أن يـرى أوطانـه ويسلـم
فياعجباً !! كم مصرع وعظت بـه بنيها !! ولـكن عن مصارعها عموا
سقتهم كؤوس الحب حتى اذا نشوا سقتهم كؤوس السم ، والقوم نوم
وأعجب ما في العبد رؤيـة هـذه العظـائم ، والمغمـور فيهـا متيـم
ومـا ذاك الا أن خمـرة حبهـا لتسلب عقل المـرء منـه وتصلم
وأعجب مـن ذا أن أحبابها الأولى نهين ، وللاعـدا تراعي وتـكرم
وذلـك برهان على أن قـدرهـا جنـاح بعـوض أو أدق وألأم
وحسبك مـا قال الرسول ممثـلا لها ، ولدار الخلد والحق يفهـم
كمـا يدلي الانسـان في اليم اصبعاً وينزعها منـه فمـا ذاك يغنـم
ألا ليت شـعري هـل أبيتن ليلـة على حـذر منها ، وأمري مبـرم
وهل أردن مـاء الحيـاة وأرتوي على ظمأ مـن حوضه ، وهو مفعم
وهل تبدون أعلامها بعـد ما سفت على ربعها تلـك السوافي فتعلـم
وهل أفرشن خدي ثرى عتباتهـم خضوعاً لهم كيما يرقوا ويرحموا
وهل ارمين نفسي طريحاً ببابهـم وطـير منايا الحـب فوقي تحـوم
فياأسفي ، تفنى الحيـاة وتنقضي وذا العتب باق مـا بقيتـم وعشتم
فمـا منـكم بـد ولا عنـكم غنى ومالي مـن صبر فأسـلو عنكـم
ومـن شاء فليغضب سواكم فلا اذاً اذا كنتم عن عبدكم قـد رضيتـم

(١) هو من قال يقيل اذا نام في النهار

وعقبى اصطباري في هواكم حميدة ولـكنها عنكم عقاب وأثم
وما أنا بالشاكي لما ترتضونه ولـكنني أرضى بـه وأسلم
وحسبي انتسابي من بعيد اليكم ألا انـه حظ عظيم مفخم
اذا قيل : هذا عبـدهم ومحبهم تهلـل بشـراً وجهـه يتبسـم
وها هو قـد أبدى الضراعة سائلا لـكم بلسان الحال ، والقـال معلم
أحبتـه ؛ عطفاً عليـه فانه لظماً ، وان المورد العـذب أنتـم

★ ★ ★

فياساهياً ؛ في غمرة الجهل والهوى صريـع الأماني عـن قريب ستندم
أفق قد دنى الوقت الذي ليس بعده سوى جنة ، أو حـر نـار تضرم
وبالسنة الغراء كـن متمسـكاً هي العروة الوثقى التي ليس تفصم
تمسك بها مسك البخيل بما لـه وعض عليهـا بالنواجـذ تسلـم
ودع عنك ما قد أحدث الناس بعدها فمرتـع هاتيك الحـوادث أوخـم
وهيء جواباً عندما تسمع النـدا مـن الله يوم العرض مـاذا أجبتم
بـه رسلي لما أتوكـم فمن يكن أجاب سواهم سوف يخزى ويندم
وخذ مـن تقى الرحمن أعظم جنة ليوم بـه تبدو عيانـاً جهنـم
وينصب ذاك الجسر من فوق متنها فهـاو ، ومخدوش ، وناج مسلم
ويـأتي الـه العالمين لـوعـده فيفصل مـا بين العباد ويحكـم
ويـأخـذ للمظلـوم ربك حقـه فيابؤس عبـد للخلائق يظلـم !!
وينشر ديوان الحساب وتوضـع الموازين بالقسط الـذي ليس يظلـم
فـلا مجـرم يخشى ظلامـة ذرة ولا محسن مـن أجره ذاك يهضم
وتشهد أعضـاء المسيء بمـا جنى كـذاك على فيه المهيمن يختم
فياليت شعري!! كيف حالك عندما تطاير كتب العالمين وتقسم ؟!
أتأخـذ باليمنى كتابك أم تـكن بالأخرى وراء الظهـر منك تسلم
وتقرأ فيـه كـل شيء عملتـه فيشرق منك الوجه ، أو هو يظلم
تقول : كتابي فاقرؤوه فانـه يبشـر بالفـوز العظيم ، ويعلـم

فان تكن الأخرى فانك قائل : ألا ليتني لم أوته فهو مغرم
فبادر اذاً ما دام في العمر فسحة وعدلك مقبول ، وصرفك قيم
وجد ، وسارع ، واغنم زمن الصبا ففي زمن الامكان تسعى ، وتغنم
وسر مسرعا، فالسيل خلفك مسرعا وهيهات ما منه مفر ومهزم !!
فهن المنايا أي واد نزلته عليها القدوم أو عليك ستقدم(١)
وما ذاك الا غيرة أن ينالها سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وان حجبت عنا بكل كريهة وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلم
فلله ما في حشوها من مسرة وأضاف لذات بها تتنعم !!
ولله برد العيش بين خيامها وروضاتها!! والثغر في الروض يبسم
فلله واديها الذي هو موعد المزيد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادي يهيم صبابة محب يرى أن الصبابة مغنم !
ولله أفراح المحبين عندما يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
فيانظرة أهدت الى الوجه نضرة أمن بعدها يسلو المحب المتيم ؟
ولله كم من خيرة لو تبسمت أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيالذة الأبصار ان هي أقبلت ويالذة الأسماع حين تكلم
وياخجلة الغصن الرطيب اذ انثنت وياخجلة البحرين حين تبسم
فان كنت ذا قلب عليل بحبها فلم يبق الا وصلها لك مرهم
ولا سيما في لثمها عند ضمها وقد صار منها تحت جيدك معصم
يراها اذا أبدت له حسن وجهها يلذ بها قبل الوصال وينعم
تفكه منها العين عند اجتلائها فواكه شتى طلعها ليس يعدم
عناقد من كرم وتفاح جنة ورمان أغصان بها القلب مغرم
وللورد ما قد البسته خدودها وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن في جمع واحد فياعجبا من واحد يتقسم

(١) جاء في « حادي الأرواح » هذه الأبيات زيادة على الأصل ، هنا

تذكر بالرحمن من هو ناظر | بجملتها أن السلو محرم
لها فرق شتى من الحسن أجمعت | فينطق بالتسبيح لا يتعلثم
اذا قابلت جيش الهموم بوجهها | تولى على أعقابه الجيش يهزم
فياخاطب الحسناء ان كنت راغبا | فهذا زمان المهر فهو المقدم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها | تيقن حقاً أنه ليس يهزم
وكن مبغضا للخائنات لحبها | فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيما مما سواها فانها | لمثلك في جنات عدن تأيم
وصم يومك الأدنى لعلك في غد | تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وأقدم ولا تقنع بعيش منغص | فما فاز باللذات من ليس يقدم
وان ضاقت الدنيا عليك بأمرها | ولم يك فيها منزل لك يعلم (١)
فحي على جنات عدن فانها | منازلك الاولى ، وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى | سعيد ، والا فالشقاء محتم
وقد زعموا أن الغريب اذا نأى ، | وشطت به أوطانه فهو مؤلم(٢)
وأي اغتراب فوق غربتنا التي | لها أضحت الأعداء فينا تحكم
وحي على روضاتها وخيامها | وحي على عيش بها ليس يسأم (٣)
وحي على السوق الذي يلتقي فيه المحبون ، ذلك السوق للقوم يعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له | فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحي على يوم المزيد فانه | لموعد أهل الحب حين يكرموا (٤)
وحي على واد هنالك أفيح | منابر من نور لمن هو مكرم

---

(١) انتهى المنقول في كتاب « حادي الارواح » .

(٢) في اعلام الموقعين : فهو معدم

(٣) ورد في « حادي الأرواح » البيتان التاليان زيادة فاثبتناهما لموافقتهما السباق والسياق.

(٤) ورد في « حادي الأرواح » :

وحي على يوم المزيد الذي به | زيارة رب العرش ، فاليوم موسم

وحي على واد هنالك افيح ... وتربته من اذفر المسك أعظم (١)

منابر من نور هناك وفضة ... ومن خالص العقيان لا تتقصم (١)

ومن حولها كثبان مسك مقاعد ... لمن دونهم هذا العطاء المفخم (٢)

يرون به الرحمن جل جلاله ... كرؤية بدر التم لا يتوهم

والشمس صحواً ليس من دون أفقها ... سحاب ، ولا غيم هناك يغيم (٣)

فبيناهم في عيشهم وسرورهم ... وأرازقهم تجري عليهم وتقسم

اذا هم بنور ساطع قد بدا لهم ... وقد رفعوا أبصارهم فاذا هم (٤)

بربهم من فوقهم قائل لهم : ... سلام عليكم ، طبتم ، ونعمتم

سلام عليكم ، يسمعون جميعهم ... بآذانهم تسليمه اذ يسلم (٥)

يقول : سلوني ما اشتهيتم فكل ما ... تريدون عندي ، انني أنا أرحم

فقالوا جميعاً : نحن نسألك الرضى ... فأنت الذي تولي الجميل وترحم

فيعطيهم هذا ، ويشهد جمعهم ... عليه ، تعالى الله ، فالله أكرم

فبالله ما عذر امرىء هو مؤمن ... بهذا ، ولا يسعى له ويقدم ؟!

ولكنما التوفيق بالله انه ... يخص به من شاء فضلا وينعم

فيا بائعاً غال بنجس معجل ... كأنك لا تدري،بلى سوف تعلم (٦)

---

(١) البيتان من زيادة « الحادي » ·

(٢) ورد في الحادي زيادة :

وكثبان مسك قد جعلن مقاعداً ... لمن دون اصحاب المنابر يعلم

(٣) البيتان وردا في الأصل بعد البيت « ومن حولها ··· » ولكن المعنى اقتضى تأخيرهما

(٤) ورد البيت في « الحادي » ·

اذا هم بنور ساطع أشرقت له ... باقطارها الجنات لا يتوهم

(٥) الأبيات الأربعة التالية زيادة من « الحادي »

(٦) البيت من زيادات « الحادي » ·

فقـدم ، فدتك النفس ، نفسكانها هي الثمن المبذول حـين تسلـّم
وخض غمرات المـوت وارق معارج المحبـة في مرضاتهـم تسـنم
وسلم لهـم مـا ،عاقدوك عليه ان تـرد منهـم أن يبـذلوا ويسلموا
فمـا ظفرت بالوصل نفس مهيْنـة ولا فاز عبـد بالبطالـة ينعم



وان تـك قـد عاقتك سـعدى فقلبك المعنى رهين في يديهـا مسلم
وقد ساعدت بالوصل غيرك فالهوى لهـا منك ، والواشـي بهـا يتنم
فدعهـا ، وسـل النفس عنها بجنة من العلم ، في روضاتها الحق يبسم
وقـد ذللت منها القطوف فمن يرد جناها ينلـه ، كيف شـاء ويطعـم
وقـد فتحت أبوابهـا ، وتزينت لخطابها ، فالحسـن فيهـا مقسـم
وقد طاب منهـا نزلهـا ونزيلهـا فطوبى لمـن حلـوا بهـا وتنعموا
أقـام على أبوابها داعي الهـدى هلمـوا الى دار السـعادة تغنمـوا
وقـد غرس الرحمن فيها غراسة من الناس ، والرحمن بالخلق أعلم
ومن يغرس الرحمن فيهـا فانـه سعيد ، والا فالشـقاء محتـم

القصيدة اللامية

المسماة

بالشهب المرمية على المعطلة والجهمية

للشيخ الفاضل أحمد بن مشرف

وتليها

قصيدته الميمية

في

رثاء العلم وأهله

ومما قاله الشيخ الفاضل أحمد بن مشرف رحمه الله تعالى قال : لما كان في سنة ست وثلاثين بعد المائتين والألف كثر في بلدنا الخصوم والجدل من أهل التجهم والاعتزال ، وفشت عقائد الضلال ، وأرادوا أن يصدوا الورادين عن ورد منهل الوحي العذب الزلال ، نظمت هذه القصيدة اللامية وسميتها :

« الشهب المرمية على المعطلة والجهمية »

وهي هذه :

نفيتم صفات الله فالله أكمل — فسبحانه عما يقول المعطل

زعمتم بأن الله ليس بمستو — على عرشه ، والاستوا ليس يجهل

فقد جاء في الأخبار في غير موضع — بلفظ استوى لا غير ، يا متأول

وقد جاء في اثباته عن نبينا — من الخبر المأثور ما ليس يشكل

فصرح أن الله جل جلاله — على عرشه منه الملائك تنزل

يخافونه من فوقهم ، وعروجهم — اليه ، وهذا في الكتاب مفصل

ونعرج حقاً روح من مات مؤمناً — اليه فتحظى بالمنى ، ثم ترسل

وبالمصطفى أسري الى الله فارتقى — على هذه السبع السموات في العلو

ومنه دنا الجبار حقاً فكان قا — ب قوسين أو أدنى كما هو منزل

وفي ذا حديث في صحيح(١) محمد — صحيح صريح ظاهر لا يؤول

وقد رفع الله المسيح بن مريم — اليه ، ولكن بعد ذا سوف ينزل

فيكسر صلبان النصارى بكفه — وما دام حياً للخنازير يقتل

وليس له شرع سوى شرع أحمد — فيقضي به بين الأنام ، ويعدل

وزينب زوج المصطفى افتخرت على — قبة أزواج النبي بلا غلو

---

(١) هو محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الصحيح .

فقالت : تولى الله عقدي بنفسه ... فزوجني من فوق سبع من العلو

وان سفيري روحه وكفى بذا ... لزينب فخراً شامخاً ، فهو أطول

ولما قضى سعد الرضى في قريظة : ... بأن يسترقوا والرجال تقتل

وأمضى رسول الله في القوم حكمه ... لقد قال ما معناه اذ يتأمل :

ألا ان سعداً قد قضى فيهم بما ... قضى الله من فوق السموات فافعلوا

وقد صح أن الله في كل ليلة ... اذا ما بقي ثلث من الليل ينزل

الى ذي السما الدنيا ينادي عباده ... الى أن يكون الفجر في الأفق مشعل

يناديهم : هل تائب من ذنوبه ؟ ... فاني لغفار لها متقبل

وهل منكم داع ، وهل سائل لنا ... فاني أجيب السائلين ، وأجزل

وقد فطر الله العظيم عباده ... على أنه من فوقهم فله سلوا

لهذا تراهم يرفعون أكفهم ... اذا اجتهدوا عند الدعاء الى العلو

أقروا بهذا الاعتقاد جبلة ... ودانوا به مالم يصدوا ويخذلوا

على ذا مضى الهادي النبي وصحبه ... وأتباعهم خير القرون وأفضل

فاخلف قوم آخرون فحرفوا ... نصوص كتاب الله جهلا وأولوا

فجاؤا بقول سيىء سره وما ... بدا منه يزهو باللآلي مكلل

هم عطلوا وصف الاله وأظهروا ... بذلك تنزيهاً له ، وهو أكمل

ومن نزه الباري بنفي صفاته ... فما هو الا جاحد ومعطل

فيا أيها النافي لأوصاف ربه ... لقد فاتك النهج الذي هو أمثل

تحيد عن الذكر الحكيم ونصه ... وتزور عن قول الرسول ، وتعدل

وتنفي صفات الله بعد ثبوتها ... بنص من الوحيين مافيه مجمل

اذا جاء نص محكم في صفاته ... جحدت له أو قلت : هذا مؤول

ألا تقتفي آثار صحب محمد ... فمنهاجهم أهدى ، وأنجى،وأفضل

فما مذهب الأخلاف أعلم بالهدى ... من القوم لو أنصفت ، أو كنت تعدل

ولكنه من بعض ما أحدث الورى ... ومن يبتدع في الدين فهو مضلل

فصـــل

في اعتقاد السلف الصالح

ولـــكننا والحمـد لله لـم نـزل … على قول أصحاب الرســـول نعول

نقرّ بأن الله فوق عبـــاده … على عرشه ، لكنما الكيف يجهـل

وكل مـــكان فهو فيـــه بعلمـه … شهيد على كل الورى ليس يغفل

وما أثبت الباري تعالى لنفســـه … من الوصف أو أبداه من هو مرسل

فنثبتـــه لله جـــل جـــلاله … كمـا جاء ، لا ننفـي ولا نتـأول

هو الواحد ، الحي ، القديم ، له البقا … مليك ، يولي من يشــاء ، ويعزل

سميع ، بصير ، قـادر ، متكلم ، … عليـم ، مريـد ، آخر ، هو أول

تنزه عن نـد ، وولد ، ووالد ، … وصاحبـة ، فالله أعـلى وأكمـل

وليس كمثـل الله شـيء وما لـه … شبيه ، ولا ند ، بربـك يعـدل

وان كتـاب الله من كلماتـــه … ومن وصفه الأعـــلى حكيم منزل

فليس بمخلوق ولا وصـف حادث … فيفنـى ، ولـكن محكـم لا يبدل

هو الذكر متلو بألســـنة الورى … وفي الصدر محفوظ ، وفي الصف مسجل

فالفاظـــه ليست بمخلوقة ولا … معانيه ، فاترك قول من هو مبطـل

وقد أسمع الرحمن موسى كلامـه … على طور سينـا ، والاله يفضـل

وللطـور مولانا تجلى بنـوره … فصـار لخوف الله دكـاً يـزلزل

وان علينـــا حافظين ملائكـاً … كراماً بسـكان البســيطة وكلوا

يحصون أقوال ابن آدم كلها … وأفعـاله طراً ، فلا شـيء يهمـل

ولا حي غير الله يبقى وكل من … سـواه له حوض المنيـة منهـل

وان نفوس العالمـــين بقبضهـا … رسول من الله العظيـم موكل

ولا نفس تفنى قبـــل اكمال رزقها … ولـكن اذا تم الكتاب المـؤجـل

وسيان منهم من ودى حتف أنفه ... ومن بالظبا والسمهرية يقتل (١)
وان سؤال القاتنين محقق ... لكل صريع في الثرى حين يجعل
يقولان : ماذا كنت تعبد ؟ ما الذي ... تدين ؟ ومن هذا الذي هو مرسل ؟
فيارب ثبتنا على الحق واهدنا ... اليه ، وأنطقنا به حين نسأل
وان عذاب القبر حق ، وروح من ... ودى في نعيم أو عذاب ستجعل
فأرواح أصحاب السعادة نعمت ... بروح وريحان ، وما هو أفضل
وتسرح في الجنات تجني ثمارها ... وتشرب من تلك المياه ، وتأكل
ولكن شهيد الحرب حي منعم ... فتنعيمه للروح والجسم يحصل
وأرواح أصحاب الشقاء مهانة ... معذبة للحشر ، والله يعدل
وان معاد الروح والجسم واقع ... فينهض من قد مات حياً يهرول
وصيح بكل العالمين فاحضروا ... وقيل : قفوهم للحساب ليسألوا
فذلك يوم لا تحد كروبه ... بوصف ، فان الأمر أدهى وأهول
يحاسب فيه المرء عن كل سعيه ... وكل يجازى بالذي كان يعمل
وتوزن أعمال العباد جميعها ... وقد فاز من ميزان تقواه يثقل
وفي الحسنات الأجر يلقى مضاعفاً ... وبالمثل تجزى السيئآت وتعدل
ولا يدرك الغفران من مات مشركاً ... وأعماله مردودة ليس تقبل
ويغفر غير الشرك ربي لمن يشا ... وحسن الرجا والظن بالله أجمل
وان جنان الخلد تبقى ومن بها ... مقيماً على طول المدى ليس يرحل
أعدت لمن يخشى الاله ويتقي ... ومات على التوحيد فهو مهلل
وينظر من فيها الى وجه ربه ... بذا نطق الوحي المبين المنزل
وان عذاب النار حق وانها ... أعدت لأهل الكفر مثوى ومنزل
يقيمون فيها خالدين على المدى ... اذا نضجت تلك الجلود تبدل
ولم يبق بالاجماع فيها موحد ... ولو كان ذا ظلم بصول ويقتل

---

(١) الظبا والظباة : السيوف ، وقال الشاعر :

تسيل على حد الظباة نفوسنا ... وليست على غير الظباه تسيل

وان لخير الأنبياء شفاعة — لدى الله في فصل القضاء فيفصل
ويشفع للعاصين من أهل دينه — فيخرجهم من نارهم ، وهي تشعل
فيلقون في نهر الحياة فينبتوا — كما في حميل السيل ينبت سنبل
وان له حوضاً هنيئاً شرابه — من الشهد أحلى، فهو أبيض سلسل
يقدر شهراً في المسافة عرضه — كأيلة من صنعا وفي الطول أطول(١)
وكيزانه مثل النجوم كثيرة — وورّاده حقاً أغر محجل
من الأمة المستمسكين بدينه — وعنه ينحى محدث ومبدل
فيارب ، هب لي شربة من زلاله — بفضلك ، يا من لم يزل يتفضل

فصل

في الايمان بالقضاء والقدر ، وما يتعلق بذلك

وبالقدر الايمان حتم وبالقضا — فما عنهما للمرء في الدين معدل
قضى ربنا الاشياء من قبل كونها — وكل لديه في الكتاب مسجل
فما كان من خير وشر فكله — من الله ، والرحمن ما شاء يفعل
فبالفضل يهدي من يشاء من الورى — وبالعدل يردي من يشاء ويخذل
وما العبد مجبوراً وليس مخيراً — ولكن له كسب ،وما الأمر مشكل
وان ختام المرسلين محمد — الى الثقلين : الجن والانس مرسل
بأفضل دين للشرائع ناسخ — ولا يعتريه النسخ ما دام يذبل
فما بعده وحي من الله نازل — على بشر ، والمدعي متقول
ونعتقد : الايمان قول ، ونية ، — وفعل ، اذا ما وافق الشرع يقبل
وينقص أحياناً بنقصان طاعة — ويزداد ان زادت فينمو ويكمل

* * *

(١) ايليا : بيت المقدس في الشام ، وصنعاء مدينة في اليمن .

ودونك من نظم القريض قصيـدة — وجيزة ألفـاظ جناها مذلـل
بديعة حسن يشبه الدر نظمهـا — ولكنه أحلى ، وأغـلى وأجمـل
عقيدة أهل الحق والسلف الأولى — عليهـم لمن رام النجـاة ، المعول
فدونكها تحوي فوائد جمـة — من العلم قد لا يحتويهـا المطول
فيا رب عفواً منك عما اجترحتـه — من الذنب؛عن علم ،وما كنت أجهل
فاني على نفسـي مسيء ومسـرف — وظهري بأوزار الخطيئـات مثقل
فهب لي ذنوبي ، واعف عنها تفضلا — علي فمن شـأن الكريم التفضل
وأحسن ما يزهو به الختم حمد من — بأسمائـه الحسنى له تتوسـل
وأزكى صلاة والسلام على الـذي — به تـم عقـد الأنبياء ، وكملـوا
محمـد المختار ماهل عارض — على بلد قفر ، وما اخضر ممحـل
كذا الآل والأصحاب ما قال قائل : — نفيتم صفـات الله ، فالله أكمـل



وله أيضاً يرثي العلم وأهله ، رحمه الله تعالى ، وجعل في الفردوس محله

على العلم نبكي اذ قد اندرس العلم ... ولم يبق فينا منـه روح ولا جسم
ولكن بقى رسم من العلم دارس ... وعما قليل سوف ينطمس الرسم
فآن لعين أن تسيل دموعها ... وآن لقلب أن يصدعه الهم
فان بفقد العلم شراً وفتنة ... وتضييع دين أمره واجب حتم
وما سائر الأعمال الا ضلالة ... اذا لم يكن للعالمين بها علم
وما الناس دون العلم الا بظلمة ... من الجهل ، لا مصباح فيها ولا نجم
فعار على المرء الذي تم عقله ... وقد أملت فيه المروة والحزم
اذا قيل : ماذا أوجب الله يا فتى ؟ ... أجاب بلا أدري ، وأنى لي العلم؟!
وأقبح من ذا لو أجاب سؤاله ... بجهل ، فان الجهل مورده وخم
فكيف اذا ما البحث من بين أهله ... جرى ، وهو بين القوم ليس له سهم
تدور بهم عيناه ليس بناطق ... فغير حري أن يرى فاضلا فدم (١)
وما العلم الا كالحياة اذا سرت ... بجسم حيي ، والميت من فاته العلم
وكم في كتاب الله من مدحة له ... يكاد بها ذو العلم فوق السها يسمو
وكم خبر في فضله صح مسنداً ... عن المصطفى فاسأل به من له علم
كفى شرفاً للعلم دعوى الورى لـه ... جميعا ، وينفي الجهل من قبحه الفدم

---

(١) الفدم : العيي ٠

فلست بمحص فضله ان ذكرته ... فقد كل عن احصائه النثر والنظم
فيا رافع الدنيا على العلم غفلة ... حكمت فلم تنصف، ولم يصب الحكم
أترفع دنيا لا تساوي بأسرها ... جناح بعوض عند ذي العرش يافدم
وتؤثر أصناف الحطام على الذي ... به العز في الدارين، والملك، والحكم
وترغب عن ارث النبيين كلهم ... وترغب في ميراث من شأنه الظلم
وتزعم جهلا أن بيعك رابح ... فهيهات لم تربح، ولم يصدق الزعم
ألم تعتبر بالسابقين ، فحالهم ... دليل على أن الأجل هو العلم
فكم قد مضى من مترف متكبر ... ومن ملك دانت له العرب والعجم
فبادوا فلم تسمع لهم قط ذاكراً ... وان ذكروا يوماً فذكرهم الذم
وكم عالم ذي فاقة ورثاثة ... ولكنه قد زانه الزهد والعلم
حياما حيا في طيب عيش ومذ قضى ... بقي ذكره في الناس اذ فقد الجسم
فكن طالباً للعلم حق طلابه ... مدى العمر لا يوهنك عن ذلك السأم
وهاجر له في أي أرض ولو نأت ... عليك ، فاعمال المطي له حتم
وأنفق جميع العمر فيه فمن يمت ... له طالباً نال الشهادة لا هضم
فان نلته فليهنك العلم ، انه ... هو الغاية العلياء ، واللذة الجم
فلله كم تفتض من بكر حكمة ... وكم درة تحظو بها وصفها اليتم
وكم كاعب حسناء تكشف خدرها ... فيسفر عن وجه به يبرأ السقم
فتلك التي تهوى ظفرت بوصلها ... لقد طال مافي حبها نحت الجسم
فعانق ، وقبل، وارتشف من رضابها ... فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم(١)
فجالس رواة العلم ، واسمع كلامهم ... فكم كلم منهم به يبرأ الكلم(٢)
وان أمروا فاسمع لهم وأطع ، فهم ... أولو الأمر، لا من شأنه الفتك والظلم
مجالسهم مثل الرياض أنيقة ... لقد طاب منها اللون، والريح، والطعم

---

(١) الظلم ـ بالفتح ـ ماء الأسنان وريقها

(٢) الكلم ـ بكسر اللام ـ الكلام . والكلم ـ بالسكون ـ الجرح .

أتعتاض عن تلك الرياض وطيبها ... مجالس دنياً حشوها ، الزور والاثم

فما هي الا كالمزابل موضعاً ... لكل أذى لا يستطاع له شم

فدر حول ؟ قال الله ، قال رسوله ... وأصحابه أيضا ، فهذا هو العلم

وما العلم آراء الرجال وظنهم ... ألم تر أن الظن من بعضه الاثم ؟!

وكن تابعاً خير القرون ممسكا ... بآثارهم في الدين ، هذا هو الحزم

وأفضلهم صحب النبي محمد ... فلولاهم لم يحفظ الدين والعلم

ولولاهم كان الورى في ضلالة ... ولكن كلا منهم للهدى نجم

فآمن كايمان الصحابة وأرضه ... فمنهاجهم فيه السلامة والغنم

واياك أن تزور عنه الى الهوى ... ومحدث أمر ماله في الهدى سهم

فايماننا : قول ، وفعل ، ونية ... فيزداد بالتقوى ، وينقصه الاثم

فنؤمن أن الله لا رب غيره ... له الملك في الدارين والأمر ، والحكم

فليس له ولد ، ولا والد ، ولا ... شريك ، ولا يعروه نقص ، ولا وصم

اله قديم أول ، لا بداية ... له ، وهو الباقي ، فليس له حسم

سميع ، بصير ، قادر ، متكلم ، ... مريد ، وحي ، لا يموت له العلم

وايماننا بالاستواء استواؤه ... تعالى على عرش السما واجب حتم

فأثبته للرحمن غير مكيف ... له ، وتعالى أن يحيط به العلم

ومن حرف النص الصريح مؤولا ... فقد زاغ ، بل قد فاته الحق ، والحزم

وما الحزم الا أن تمر صفاته ... كما ثبتت ، لا يعتريك بها وهم

قراءتها تفسيرها عند من نجا ... فذر عنك ما قد قاله الجعد ، والجهم

وان جنان ، الخلد تبقى ومن بها ... وليس لما فيها انقطاع ، ولا حسم

ورؤية سكان الجنان لربهم ... تبارك حق ، ليس فيها لهم وهم

كرؤيتهم للبدر ليل تمامه ... أو الشمس صحواً لا سحاب ولاقتم

فيارب ، فاجعلني لوجهك ناظراً ... غداً ، فاخراً فيما به ينعم الجسم

وان ورود الحوض حوض محمد ... لأمته حق ، به يجب الجزم

فما اللبن الزاكي يضاهي بياضه ... وما العسل الصافي مع اللبن الطعم

ولكنه أنقى بياضـــاً وطعمـــه … من الكل أحلى والعبير له ختـــم
وكيزانه مثـــل النجوم لنورهـــا … وكثرتها جداً فهل يحسب النجم؟!
عليـــه نبي الله يدرأ كل مـــن … أتى من سوى أتباعـــه ، ولهم وسم
فأمتـــه تأتيـــه كل محجـــل … أغر ، وأما من سواهم فهـــم دهـــم
وعنـــه رجال مسلمون تذودهم … ملائـــك ، لما بدلوا ، فبـــدا الجرم
فيارب ، هب لي شربـــة من زلاله … ومن يغترف من ذلك الحوض لا يظم
وان عذاب النار حـــق أعاذنـــا … اله الورى منهـــا ، فتعذيبهـــا غرم
أعـــدت لأهـــل الكفر دار اقامـــة … اذا نضجت أجسادهم بدل الجسم
ولم يبق فيهـــا من توفي موحـــداً … باجرامـــه ، حتى ولو عظم الجـــرم
وان لخـــير المرســـلين شـــفاعة … بها المصطفى من بين أقرانه يسمو
فيشفع فيهم ، وهو خـــير مشفع ، … فينزل من رب الورى لهـــم الحكم
فما ظالـــم الا ويجزى بظلمـــه … وما محسن الا يوفى ولا هضـــم
فشفعـــه اللهم فينا بموتنـــا … على ملة الاسلام ، يا من له الحكم
وصلى اله العالمين مســـلما … على من به للأنبيـــاء جرى الختم
كذا الآل والأصحاب ، ما قال قائل : … على العلم نبكي اذ قد اندرس العلم

القصيده البائية

للإمام محمد بن اسماعيل الصنعاني

في الحث على مكارم الاخلاق

ترجمـــة

الامام الصنعاني

هو أبو ابراهيم محمد بن اسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني ، المعروف كاسلافه بالأمير .

كان محدثاً ، مجتهداً ، سلفي المذهب . وكان جريئاً في الحق لا يخاف سخط الناس في مرضاة الله عز وجل ، فحارب البدع ، ونفر من التقليد ، وقد أصابه لذلك من الجهلاء والعوام أذى كثير .

وله نحو مئة مؤلف منها :سبل السلام ، شرح بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني . وتوضيح الأفكار ، شرح تنقيح الأنظار في مصطلح الحديث . وشرح الجامع الصغير . وتطهير الاعتقاد عن درن الالحاد . وغيرها ..

ولد بمدينة كحلان ، ونشأ وتوفي في صنعاء سنة ١١٨٢ هـ رحمه الله .

أما آن عما أنت فيه متاب ؟! وهل لك من بعد البعاد اياب ؟!
تقضت بك الأعمار في غير طاعة سوى عمل ترضاه ، وهو سراب
اذا لم يكن لله فعلك خالصاً فكل بناء قد بنيت خراب
فللعمل الاخلاص شرط اذا أتى وقد وافقته سنة وكتاب
وقد صين عن كل ابتداع ، وكيف ذا وقد طبق الآفاق منه عباب
طغى الماء من مجرى ابتداع على الورى ولم ينج منه مركب وركاب
وطوفان نوح كان في الفلك أهله فنجاهم والغارقون تباب
وأنى لنا فلك ينجي ؟! وليته يطير بنا عما نراه غراب
وأين ؟ الى أين المطار ؟! وكل ما على ظهرها يأتيك منه عجاب
نسائل من دار الأراضي سياحة عسى بلدة فيها هدى وصواب
فيخبر كل عن قبائح ما يرى وليس لأهليها يكون متاب
لأنهم عدوا قبائح فعلهم محاسن ، يرجى عندهن ثواب
كقوم عراة في ذرى مصر ما ترى على ،عورة منهم هناك ثياب
يدورون فيها كاشفين لعورة تواتر هذا لا يقال كذاب
يعدونهم في مصرهم فضلاءهم دعاؤهم فيما يرون مجاب
وفيها ، وفيها كل مالا يعده لسان ولا يدنو اليه خطاب
وفي كل مصر مثل مصر وانما لكل مسمى ، والجميع ذئاب
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت لها ذئاب ، وما عنها لهن ذهاب
لقد مزقته بعد كل ممزق فلم يبق منه جثة واهاب

وليس اغتراب الـدين الا كما ترى … فهل بعـد هذا الاغتراب اياب ؟!

فيا غربة هل ترتجي منـك أوبة … فيجبر من هـذا البعاد مصـاب

فلم يبـق للراجي سـلامة دينـه … سوى عزلة فيها الجليس كتـاب

كتـاب حوى كل العلوم وكل ما … حواه من العلم الشريف صواب

فان رمت تاريخـاً رأيت عجائبـا … ترى آدماً اذ كان وهو تراب

ولاقيت هابيـلا قتيـل شقيقـه … يواريه لما أن رآه غراب (١)

وتنظر نوحاً ، وهو في الفلك اذ طغى … على الأرض ماء للسحاب عبـاب

وان شئت كل الأنبيـاء وقومهـم … وما قال كل منهم ، وأجـابوا

ترى كل من تهوى من القوم مؤمناً … وأكثرهم قـد كذبوه وخـابوا

وجنات عـدن حورها ونعيمهـا … ونار بهـا للمسـرفين عـذاب

فتلك لأصحاب التقى ، ثم هـذه … لكل شقي قـد حواه عقـاب

وان ترد الوعظ الذي ان عقلتـه … فان دموع العين عنه جواب

تجده وما تهواه من كل مشـرب … فللروح منـه مطعم وشراب

وان رمت ابراز الأدلـة في الـذي … تريد فما تدعـو اليـه تجاب

تدل على التوحيـد فيه قواطـع … بها قطعت للملحدين رقـاب

وفيه الـدوا من كل داء فثق بـه … فوالله ما عنـه ينوب كتـاب

وما مطلـب الا وفيـه دليلـه … وليس عليـه للذكي حجـاب

وفي رقية الصحب اللديغ قضيـة … وقررهـا المختار حين أصابوا

ولكن سـكان البسيطة أصبحـوا … كأنهـم عما حواه غضـاب

فلا يطلبون الحـق منه وانمـا … يقولون : من يتلـوه فهو مشـاب

فان جاءهم فيـه الدليل موافقـاً … لمـا كان للآبا اليه ذهـاب

رضـوه ، والا قيل هـذا مؤول … ويركب للتأويـل فيه صعاب

تراه أسيراً ، كل حبـر يقـوده … الى مـذهب قد قررته صحاب

أتعرض ياذا عن رياض أريضـة … وتعتاض جهلا بالرياض هضاب

---

(١) اشارة الى قصة هابيل وقابيل المذكورة في القرآن الكريم .

يريك صراطا مستقيما وغيره | مفاوز جهل كلها وشعاب
يزيد على مر الجديدين جدة | فألفاظه مهما تلوت عذاب
وآياته في كل حين طرية | وتبلغ أقصى العمر وهي كعاب
ففيه هدى للعالمين ورحمة | وفيه علوم جمة وثواب
فكل كلام غيره القشر لاسوى | وذا كله عند اللبيب لباب
دعوا كل قول غيره ، وسوى الذي | أتى عن رسول الله ، فهو صواب
وعضوا عليه بالنواجذ واصبروا | عليه ، ولو لم يبق في الفم ناب
تروا كل ما ترجون من كل مطلب | اذا كان فيكم همة وطلاب
أطيلوا على السبع الطوال وقوفكم | تدر عليكم بالعلوم سحاب
وكم من ألوف بالمئين فكن بها | ألوفاً تجد ما ضاق عنه حساب
وفي طي أثناء المثاني نفائس | يطيب بها نشر ويفتح باب
وكم من فصول في المفصل قد حوت | أصولا اليها للذكي اياب
وما كان في عصر الرسول وصحبه | سواه لهدي العالمين كتاب
تلا « فصلت » لما أتاه مجادل (١) | فأبلس حتى لا يكون جواب
أقر بأن القول فيه طلاوة | ويعلو ، ولا يعلو عليه خطاب
وأدبر عنه هائماً في ضلاله | يريد مراداً في الأنام يعاب
وقال وصيي المصطفى : ليس عندنا | سواه ، والا ما حواه تراب
والا الذي أعطاه فهماً الهه | بآياته ، فاسأل عساك تجاب
فما الفهم الا من عطاياه لا سوى | بل الخير كل الخير منه يصاب
سليمان قد أعطاه فهماً فناده | يجبك سريعاً ما عليه حجاب
وسل منه توفيقاً ولطفاً ورحمة | فتلك الى حسن الختام مآب

— تمت —

(١) المجادل : هو الوليد بن المغيرة ، جاء الى الرسول عليه الصلاة والسلام يفاوضه ، والقصة مذكورة فى كتب السيرة .

وبما قاله :

الشيخ ابراهيم بن مسعود الأندلسي

هذه القصيدة البليغة، التي بعث بها الى ابنه ابي بكر يحثه على طلب العلم الشريف

ـ رحمه الله تعالى ـ

نفت فؤادك الأيام فتاً ... وتنحت جسمك الساعات نحتا
وتدعوك المنون دعاء صدق ... ألا يا صاح أنت أريد أنت
أراك تحب عرساً ذات غدر ... أبت طلاقها الأكياس بتا (١)
تنام الدهر ، ويحك ، في غطيط ... بها حتى اذا مت انتبهت
فكم ذا أنت مخدوع فحتى ... متى لا ترعوي عنها وحتى ؟!
أبا بكر دعوتك لو أجبتها ... الى ما فيه حظك لو عقلت
الى علم تكون به اماما ... مطاعاً ، ان نهيت وان أمرت
ويجلو ما بعينيك من غشاء ... ويهديك الصراط اذا ضللت
وتحمل منه في ناديك تاجا ... ويكسوك الجمال اذا اغتربت
ينالك نفعه ما دمت حياً ... ويبقى ذكره لك ان ذهبت
هو العضب المهند ليس يكبو ... تنال به مقاتل من ضربت
وكنز لا تخاف عليه لصاً ... خفيف الحمل يوجد حيث كنت
يزيد بكثرة الانفاق منه ... وينقص ان به كفاً شددت
فلو قد ذقت من حلواه طعماً ... لآثرت التعلم واجتهدت
ولم يشغلك عنه هوى مطاع ... ولا دنيا بزخرفها فتنت
ولا يلهيك عنه أنيق روض ... ولا خوذ بزينتها كلفت
فقوت الروح أرواح المعالي ... وليس بأن طعمت وأن شربت
فواظبه ، وخذ بالجد فيه ... فان أعطاكه الباري أخذت
وان أوتيت فيه طويل باع ... وقال الناس : انك قد سبقت
فلا تأمن سؤال الله فيه ... بتوبيخ ، علمت فهل عملتا ؟!
فرأس العلم تقوى الله حقاً ... وليس بأن تعالى أو رئست

---

(١) البت : القطع ، والطلاق المبتوت الذي لا رجعة فيه .

وضافي ثوبك الاحسان لا أن ... ترى ثوب الاساءة قد لبست
وان القاك فهمك في مهاو ... فليتك ، ثم ليتك ما فهمت
اذا ما لم يفدك العلم خيراً ... فخير منه أن لو قد جهلت
ستجني من ثمار اللهو جهلا ... وتصغر في العيون اذا كبرت
وتفقد ان جهلت ، وأنت باق ... وتوجد ان علمت اذا فقدت
ستذكر نصحتي لك بعد حين ... وتطلبها اذا عنها شغلت
وسوف تعض من ندم عليها ... وما تغني الندامة ان ندمت
إذا أبصرت صحبك في سماء ... وقد رفعوا عليك ، وقد سلفت
فراجع ذا ودع عنك الهوينا ... فما بالبطء تدرك ما علمت
ولا تحفل بما لك ، واله عنه ... فليس المال الا ما علمت
وليس بجاهل في الناس مغنى ... ولو ملك الأنام له تأتى
سينطق عنك مالك في ندي ... ويكتب عنك يوماً ان كتبت
وما يغنيك تشييد المباني ... اذا بالجهل دينك قد هدمت
جعلت المال فوق العلم جهلا ... لعمرك في القضية ما عدلت
وبينهما بنص الوحي فرق ... ستعلمه اذا « طه » قرأت
لئن رفع الغني لواء مال ... فأنت لواء علمك قد رفعت
وان جلس الغني على الحشايا ... فأنت على الكواكب قد جلست
وان ركب الجياد مسومات ... فأنت مناهج التقوى ركبت
ومهما افتض أبكار الغواني ... فكم بكر من الحكم افتضضت
وليس يضرك الاقتار شيئاً ... اذا ما أنت ربك قد عرفت
فياما عنده لك من جزيل ... اذا بفناء طاعته أنخت
فقابل بالقبول صحيح نصحي ... وان أعرضت عنه فقد خسرت
وان راعيته قولا وفعلا ... وعاملت الاله به ربحت
فليست هذه الدنيا بشيء ... تسوؤك حقبة ، وتسر وقتاً
وعاينها ، اذا فكرت فيها ... كفيئك ، أو كحلمك ان رقدت

سجنت بهـا وأنت لها محب ، فـكيف تحب من فيها سجنت ؟!
وتطعمك الطعام ، وعن قليـل ستطعم منـك ما منها طعمـت
وتعرى ان لبســت بها ثيـاباً وتكسى ان ملابســها خلعت
وتشهـد كل يوم دفن خـل كأنك لا تراد بما شـهدت
ولم تخلـق لتعمرهـا ، ولـكن لتعبرهـا ، فجـد لمـا خلقت
وان هدمت فزدهـا أنت هـدماً وحصن أمر دينـك ما استطعت
ولا تحزن لمـا قد فات منها اذا ما أنت في أخراك فزت
فليس بنافع ما نلـت منهـا من الفاني اذا الباقي حرمـت
ولا تضحك مع السفهاء جهـلا فانك سوف تبكي ان ضحكت
وكيف بك السرور وأنت رهن ولا تدري غـداً أن لو غلبت ؟!
وسل من ربك التوفيق فيها وأخلص في الدعاء اذا سألت
وناد اذا سجنت به اعترافاً لما ناداه ذو النون بن متى
ولازم بابـه قرعـاً عسـاه سيفتح بابـه لك ان قرعت
واذكر اسـمه في الأرض دأبـاً لتذكـر في السماء اذا ذكرت
ولا تقـل الصبا فيـه امتهـال وفـكر ، كم صغـير قـد دفنـت
وقل لي : يانصيحي أنت أولى بنصحك ، اذ بعقلك قد عرفت
فتعـذلني عن التفريط يومـاً وبالتفريط دهرك قد قطعـت
وفي صغـري تخوفني المنـايا وما تجري ببالـك حـين شخت
وكنت مع الصبـا أهدى سبيـلا فما لك بعـد شيبتك قد نكسـت
وها أنا لم أخض بحر الخطايا كما قـد خضتـه حتى غرقت
ولم أشرب حمياً أم دفـر (١) وأنت شربتها حتى سـكرت
ولم أحلـل بود فيـه ظلم وأنت حللت فيه ، وانتهكت
ولم انشـأ بعصر فيـه نفـع وأنت نشأت فيه ، فما انتبهت
ونـاداك الـكتاب فلـم تجبه ونبهك المشيب فمـا انتبهت

(١) أم دفر : هي الدنيا .

وقـد صاحبت أعلاماً كثيراً ... فلم أرك انتفعت بمن صحبت
ليقبح بالفتى فعل التصابى ... وأقبح منه شيخ قد تفتى (١)
فأنت أحق بالتفنيد مني ... ولو سكت المسيء لما نطقت
فنفسك ذم ، لا تذمم سواها ... بغيب ، فهي أجدر ان ذممت
ولو بكت الدما عيناك خوفاً ... لذنبك لم أقل لك قد أمنت
فمن لك بالأمان وأنت عبد ... أمرت ، فما ائتمرت ، ولا أطعت
فسرت القهقهرى ، وخبطت عشوا ... لعمرك لو وصلت لما رجعت
ثقلت من الذنوب ، ولست تخشى ... لجهلك أن تخف اذا وزنت
ولو وافيت ربك دون ذنب ... وناقشك الحساب اذا هلكت
ولم يظلمك في عمل ، ولكن ... عسير أن تقوم بما حملت
وتعب للمصر على الخطايا ... وترحمه ، ونفسك ما رحمت
ولو قد جئت يوم الفصل فرداً ... وأبصرت المنازل فيه شتى
لأعظمت الندامة فيه لهفاً ... على ما في حياتك قد أضعت
تفر من الهجير وتتقيه ... فهلا من جهنم قد فررت !!
ولست تطيق أهونها عذاباً ... ولو كنت الحديد بها لذبت
ولا تكذب ، فان الأمر جد ... وليس كما حسبت ، وما ظننت
أبا بكر ، كشفت أقل عيبي ... وما استعظمته منها سترت
فقل ما شئت في من المخازي ... وضاعفها ، فانك قد صدقت
ومهما عبتني فلفرط علمي ... بباطنتي كأنك قد مدحت
ولا ترضى المعائب فهي عار ... عظيم ، يورث الانسان مقتا
وتهوى بالوجيه من الثريا ... وتبدله مكان الفوق تحتا
كذا الطاعات تبلغك الدراري ... وتجعلك القريب ، وان بعدت
وتنشر عنك في الدنيا جميلا ... فتلقى البر فيها حيث شئت
وتمسي في مساكنها عزيزاً ... وتجني الحمد مما قد غرست

---

(١) تفتى الشيخ اذا تخلق بصفات الفتيان .

وأنت اليوم لم تعرف بعيب ... ولا دنست ثوبك مذ نشأت
ولا سابقت في ميدان زور ... ولا فيه وضعت، ولا خبيت
فان لم تنأ عنه نشبت فيه ... فمن لك بالخلاص اذا نشبت ؟!
ودنس منك ما طهرت حتى ... كأنك قبل ذلك ما طهرت
وصرت أسير ذنبك في وثاق ... وكيف لك الفكاك وقد أسرت ؟!
فخف أبناء جنس، واخش منهم ... كما تخشى الضراغم والسبتا
فخالطهم، وزايلهم جذاباً ... وكن كالسامري اذا لمست
وان جهلوا عليك فقل : سلام ... لعلك سوف تسلم ان سلمت
ومن لك بالسلامة في زمان ... ينال العصم الا ان عصمت
ولا تلبث بحي فيه ضيم ... يميت القلب الا ان كبلت
فغرب، فالتغرب فيه خير ... وشرق ان بريقك قد شرقت
فليس الزهد في الدنيا خمولا ... فأنت بها الأمير اذا زهدت
فلو فوق الأمير يكون عال ... علواً وارتفاعاً كنت أنت
فان فارقتها، وخرجت منها ... الى دار السلام، فقد سلمت
وان أكرمتها، ونظرت فيها ... بأجلال، فنفسك قد أهنت
جمعت لك النصائح فامتثلها ... حياتك، فهي أفضل ما امتثلت
وطولت العتاب، وزدت فيه ... لأنك في البطالة قد أطلت
فلا تأخذ بتقصيري، وسهوي ... وخذ بوصيتي لك ان رشدت
وقد أردفتها ستاً حساناً ... فكانا قبل ذا مائة وستا
وصلى الله ما أورق نضار ... على المختار في شجر وحت

— تمت —

قصيدة
الإمام العلاّمة محمّد بن احمد الموصلي
في مدح
الإمام المبجّل احمد بن حنبل
رحمه الله تعالى

ولما كانت الاعمال بالخواتيم ، وبذكر الصالحين ينال الفوز العظيم ، احببنا أن نختم هذا الكتاب بقصيدة محمد بن احمد بن الحسين الموصلي المفتخرة بذكر بعض فضائل الامام الرباني ، والصديق الثاني ، أبي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني عليه الرحمة والرضوان .

ترجمة

محمد بن احمد الموصلي

هو ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن الحسين الموصلي ٠
كان مقرئا فقيها ، واديبا شاعرا ، وذكيا فاضلا ٠ له تصانيف كثيرة ، ومنظومات جيدة في اثبات الصفات الالهية على مذهب أهل السنة والجماعة وفي القراءات والفقه ، والعربية والتاريخ ـ منها نظم العبادات من الخرقي ـ ٠
توفي في الموصل سنة ٦٥٦ وقيل ٦٥٠ وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة ٠

قال رحمه الله تعالى (١) :

دع عنك ذكر فلانة وفلان ... وحذار ما (٢) يلهي عن الرحمن
واعلم بأن الموت يأتي بغتة ... وجميع ما فوق البسيطة فان
فالى متى تلهو وقلبك غافل ... عن ذكر يوم الحشر والميزان
أتراك لم تك سامعاً ما قد أتى ... في النص بالآيات والقرآن
فانظر بعين الاعتبار ولا تكن ... ذا غفلة عن طاعة الديان
واقصد لمذهب أحمد بن محمد ... أعني ابن حنبل الفتى الشيباني
فهو الامام مقيم دين المصطفى ... من بعد درس معالم الايمان
أحيا الهدى وأقام في احيائه ... منجرداً للضرب غير جبان
تعلوه أسياط الأعادي وهو لا ... ينفك عن حق الى بهتان
ويقول عند الضرب : لست بتابع ... باويحكم لكم بلا برهان
ماذا أقول غداً لربي اذ أنا ... وافقتكم في الزور والبهتان
وعدلت عن قول النبي وصحبه ... وجميع من تبعوه بالاحسان
أترون أني خائف من ضربكم ... لا والاله الواحد المنان
كن حنبلياً ما حييت فانني ... أوصيك خير وصيه الاخوان
ولقد نصحتك ان قبلت ، فاحمد ... زين الثقات وسيد الفتيان
من ذا أقام كما أقام امامنا ... منجرداً من غير ما أعوان
مستعذباً للمر في نصر الهدى ... متجرعاً لغضاضة السلطان
وسلا بمهجته وبايع ربه ... أن لا يطيع أئمة العدوان
وأقام تحت الضرب حتى انه ... دحض الضلال وفتنة الفتان

---

(١) كانت هذه القصيدة بعد خاتمة جامع الرسائل .

(٢) في ذيل الطبقات : واجنب لما .

واتى برمح الحق يطعن في الهدى ... اهـل الضـلال وشيعة الشيطـان
من ذالقى ما قـد لقاه مـن الأذى ... في ربـه مـن ساكني البلـدان
فعلى ابن حنبل السلام وصحبـه ... مـا ناحت الورقـاء في الأغصان
انـي لارجـو ان افـوز بحبـه ... وانال في بعثي رضى الرحمن
حمـداً لربي اذ هداني دينـه ... وعـلى شريعـة احمـد أنشـاني
واختار مذهب أحمـد لي مذهبـاً ... ومـن الهوى والغي قـد أنجاني
من ذا يقوم من العباد بشكر مـا ... اولاه سيده مـن الاحسـان
ثـم الصـلاة عـلى النبي وآلـه ... وصحابه مـع سائر الاخوان (١)
مـا عطرت انفاس ارواح الصبـا ... ابـداً ونـاح الورق في الاغصان



(١) البيتان الاخيران ليسا في الطبقات .

ولما من الله سبحانه وتعالى باجتماع هذه الرسائل، التي هي للوصول الى الحق أعظم الوسائل ، سمحت القريحـة الدائرة ، والهمـة القاصرة ، بتقريض ينور بشمس فضائلها، ويتروى من نمير مناهلها ، فصدح عندليب البيان على فنن التبيان ، مترنماً بهذه الابيات ، التي تحـاكي الـدراري في نحور الغانيات ، فقلت ، وأنا الحقير علي بن سليمان ، متوكلا على الكريم المنان :

أشمس سعودأشرقت من سما المجد؟	أم المسك أمسى فائحاً من صبا نجد؟
أم الروضة الغناء باكرهـا الحيـا	فأحيا بها روض البنفسج والورد ؟
أم البرق من أفق الخليصاء لائح؟	أم المزن حنت فازدهى حادي الرعد؟
أم البـدر للسارين ليـل تمامـه	تجلى، فشاموا طالع الأنس والسعد؟
أم الغادة الحسناء أسـفر وجههـا	فزدت بها، باصاح، وجداً على وجد؟
ولـكنها مجموعـه قـد تجمعت	بها نسخ تحكي الزواهر في العـد
حوت حكمـاً ، واستحكمت بأدله	ـدل على نيل السعادة ، والقصـد
يقر بهـا الاسلام عيناً ، ويزدهي	بنور سناها طالـع الفضل ، والمجد
وأمست لمنهاج الشريعـة أنجمـاً	بها يهتدي مـن يبتغي سبل الرشد
تقـدم هـذي السبـع منها قصيدة	لحبر بني قحطان ، والعلم الفـرد
ويتلو سناها في الهدى واسطيـة	وها هي في التحقيق واسطـة العقد
وميمية ابـن القيم الجهبذ الـذي	به الله أحيى دارس العلم والزهد
ولامية السامي الذرى ابن مشرف،	وميميـة فـاقت على عبهر النـد
وبائيـة الشهـم الغيور أخي العـلا	امام بني صنعا ، وتاج ذوي العقـد
وتـائيـة كالـدر أندلسية	تحث على كسب الفضائل بالجـد
فسمعاً لمـا فيهن ، واعتصموا بـه	لتحظوا بدار الخلد بالعيشة الرغد

وعضوا عليها بالنواجذ ، واسمعوا نصائح منها ، لا تهنه بالصد
على منهج الاصحاب والسلف الأولى أقاموا عماد الدين بالصارم الهندي
وقد أصبحت ترمي نجوم سمائها بشهب شواظ ويك مسعرة الوقد
على تابعي علم الكلام فأهله لقد أصبحوا عن منهج الحق في بعد
وقد سفهت أحلامهم حينما نحوا مسالك جهم ، واقتفوا مذهب الجعد
وقد عطلوا رب الورى عن صفاته لرأي شيوخ خالفت سبل القصد
وقالوا بأن الله ليس بمستو على عرشه ، بل قابلوا ذاك بالرد
وقد انكروا معراج أحمد حينما حباه اله العرش بالقرب والود
فدع قولهم يامن يروم سلامة فانا نرى أقوالهم جرباً يعدي
فما الهدي الا هدي احمد لا كما يقول أولوا التعطيل والمذهب المردي
أرى الحق قال الله ، قال رسوله ، وقال به صحب النبي أولوا الرشد
وأفتى به النعمان حقاً ، ومالك ، وأحمد والحبر ابن ادريس ذو الزهد
أولئك أهل الحق فاسلك طريقهم وكن حذراً من منهج الخاسر الجحد
فلا برحت هذي الرسائل عصمة لمعتصم بالشرع ، نوراً لمستهد
واسأل ربي أن يعم بنفعها جميع الورى ياصاح في القرب والبعد
وصلى اله العرش ما لاح بارق وحلت عزالي السحب زمجرة الرعد
كذا الآل ، والأصحاب ، ما قال قائل: أشمس سعود أشرقت من سما المجد

ولجامعه الفقير الى الله تعالى علي بن سليمان عامله الله باللطف والاحسان ، مؤرخاً عام طبعه وانتشار نفعه

زهت روضة الايمان وابتهج التقى ... وشيد عماد الدين من بعد وضعه
ولاحت شموس العلم في أفق الهدى ... وحلت بدور الفضل في سوح ربعه
وقرت عيون الحق بعد عمائها ... وبان من التوحيد أعلام رفعه
بطبع كتاب قد حوى كل محكم ... من القول من هدي النبي وشرعه
لقد ربحت فيه تجارة مقتف ... وخاب امرؤ قد فاته نيل نفعه
به فافتخر يا من يؤرخ مجده ... فقد سطعت في الكون أنوار طبعه

٥٢ ١٨٤ ٥٣٩ ١٩٧ ٢٥٨ ٨٦

سنة ١٣١٦

تم طبع هذا الكتاب ، الحاوي لما فيه العجب العجاب ، والجامع لمناهج الحق والصواب ، على ذمة مصححه وجامعه ومنور أرجاء السنة بأقمار مطالعه ، أقل العباد وأحقرهم في كل ناد ، **علي بن سليمان آل يوسف الحنبلي** النجدي القصيمي أصلا ، البغدادي مولدا ومنشأ . كان الباري له خير معين وولي ، وغفر له ولوالديه ولمن له حق عليه ، وذلك في العشر الاواخر من شهر ربيع الآخر ، الذي هو من شهور سنة الألف والثلاثمئة والستة عشر من هجرة فخر الانبياء وسيد البشر ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ما لاح بدر التمام ، وزكى مسك الختام .

تعليقات

الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع

الصفحة	السطر	
١٣	٢٠	الاشعري ألف كتاب « الابانة » وأثنى في أوله على الامام احمد ، وذكر أنه مقتد به في معتقده ، وأثبت فيه صفة العلو لله تعالى ، وكذلك سائر الصفات الواردة ، ولكنه في مسألة القرآن لم يصرح بمذهب أهل السنة ٠ واتباعه كذلك٠ قال ابن القيم في قصيدته النونية مخاطبا الاشعرية: في القول خالفناه نحن ، وأنتم في الفوق والاوصـــاف للرحمن
١٣	٢١	يعني أن الله تعالى : أخبر أنه يأتي فيجب علينا الايمان بذلك كسائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة فنثبتها اثبات وجود ونؤمن بها من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا نقول على الله بغير علم ، لان ذلك منهي عنه فهو عديل الشرك٠
١٥	٢	هـذا مذهب المالكية ، فيراجع البحث في محله من كتب الخلاف مثل « الافصاح » لابن هبيرة وغيره (١) ٠

(١) في « الافصاح » لابن هبيرة ما يلي : واختلفوا فيما تثبت به رؤية الهلال في شهر رمضان٠ فقال ابو حنيفة : ان كانت السماء مصحية فانه لا تثبت الا بشهادة جمع كثير ، يقع العلم بخبرهم ، وان كانت السماء بها علة من غيم ، قبل الامام شهادة العدل الواحد ، رجلا كان أو امرأة ، حرا كان أو عبدا ٠ وقال مالك : لا تقبل الا شهادة عدلين ٠ وعن الشافعي قولان ٠ وعن احمد روايتان ، أظهر القولين والروايتين عنهما ؛ أنه يقبل شهادة عدل واحد ، والآخران منهما كمذهب مالك ، ولم يفرق بين وجود العلة وعدمها ٠

الصفحة	السطر	
١٦	٢٢	أي ودر الغصنين ، فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كما قال ابن مالك : وما يلي المضاف يأتي خلفا عنه في الاعراب اذا ما حذفا
١٧	٢	هذا هو الحق الذي ذهب اليه أهل العلم والايمان كعمر ابن عبد العزيز ، واحمد بن حنبل وغيرهما ٠ وقد ضل أحد الروافض الغلاة وألف كتابا سماه « النصائح الكافية لمن تولى معاوية » فرد عليه عالم الشام في زمانه العلامة جمال الدين القاسمي وانتقد كتابه ودافع عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يسر المؤمنين ، ويرغم آناف المارقين ٠
١٧	٢١	هذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة خلافا لمن قال انه التصديق بالقلب والاقرار باللسان ٠ وأنكى من ذلك من ذهب الى أنه التصديق بالقلب فقط ، أو النطق باللسان ٠ وفي عقيدة الطحاوي من ذلك هفوات نبهنا عليها في حواشيها ٠
٢١	٢٢	ولكن الحديث دل على المبالغة وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : وبالغ في الاستنشاق ما لم تكن صائما ٠
٢٢	١١	أي مفسرة ومبينة لما أجمل في القرآن العزيز ، فالله أمر بالصلاة واقامتها ، وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الصفحة	السطر	
		كيفيتها وعددها وأوقاتها ، ويقال مثل هـذا في الزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما أجمل في القرآن الكريم قال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » ٠
٢٣	٢٣	ومذهب الحنابلة أنه يجب غسل الانثيين مع الذكر من خروج المذي ٠ وهو من مفردات المذهب ٠
٢٤	٢٢	وهناك قول ثان في القصر بأنه سنة لا واجب ٠ وأما حده ؛ فقد صرح الامام الموفق ابن قدامة ، وشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية وغيرهما من المحققين ، أن هذا التحديد لا دليل عليه ، بل كل ما يسمى سفرا يجوز فيه القصر وغيره من أحكام السفر ٠ ولا يحدد بمدة ٠
٢٦	٢٠	بنان : هو أبو الحسن بنان بن محمد بن حمدان الحمال ٠ كان مضرب المثل في العبادة والزهد ٠ أصله من واسط ، ونشأته واقامته في بغداد ٠ وقد انتقل قبيل وفاته الى مصر ومات فيها في رمضان سنة ٣١٦ هـ ــ رحمه الله ــ ٠
٣٠	١٣	هذا هو الحق الذي لا مرية فيه ، أن المطلقة ثلاثا ولو بكلمة واحدة لا تحل لمطلقها الا بعد نكاح زوج آخر ، وهذا

الصفحة	السطر	
		وقع عليه اجماع الصحابة في زمن عمر ، وهو المفتى به في المذاهب الاربعة ، فمن جعل الثلاث تطليقات واحدة فقوله شاذ مردود عليه ، والحق هو الذي أجمع عليه الصحابة والائمة الاربعة . وعندنا كتاب في هذه المسألة لاحد العلماء سنطبعه قريبا ـ ان شاء الله ـ وفيـه الرد البليغ على المتنطعين .
٣٤	٧	شاع وذاع عن أبي الحسن الاشعري رجوعه عن مذهب المعتزلة وألف كتاب « الابانة » لما هجره الامام البربهاري ، وهذا الامام لم يقبل من الاشعري هذا التاليف لانه لم يؤلفه ابتداء وانما ألفه تقربا الى الحنابلة ، لما رأى شدتهم عليه . ولكون الاشعري لم يرجع عن مذهب الكلام النفسي ، ارتاب المحققون في صحة توبته وقالوا : رجع من التصريح الى التلويح . وظاهر كلام الناظم عدم قبول توبته .
٥٧	٦	بمعنى أن الايمان بصفات الله ، كالايمان بذاته ، فكما أننا نؤمن بذات لا كالذوات ، كذلك نؤمن بصفات لله لا تشبه الصفات ، فهو سبحانه واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في أفعاله .

الصفحة	السطر	
٥٧	٦	وما أحسن ما قال ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن الموصلي الطرابلسي :

ان كان اثبات الصفات جميعها
من غير كيف موجباً لومي
وأصير تيميا بذلك عندكم
فالمسلمون جميعهم تيمي (١)

---

(١) نسبة الى شيخ الاسلام ابى العباس احمد بن تيمية الحراني .

الفهرس

الصفحة

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطـــــأ	الصـــواب
١٩	١	حراء	غواء
٢٦	٢٠	سقطت ـ سهوا ـ ترجمة بنـان ٠ وقـد وردت ترجمته في تعليقات العلامة الشيخ محمد بن مانع ـ ص ١٠٧ ـ مما يغنينا عن استدراكها هنا ٠	
٨٨*	الحاشية	صوابها : اشارة الى قصـة ابني آدم المذكورة في القرآن الكريم ٠	